التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

لسنة 2009

تحرير

د. محسن محمد صالح

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الرابع

القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

مقدمة

أسهمت سنة 2009 وما تخللها من عدوان إسرائيلي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، في إبراز أوجه التباين بين مستويين من علاقة العالم الإسلامي بالقضية الفلسطينية؛ الأول: المستوى الشعبي الذي قام بالتعبير بقوة عن دعمه للشعب الفلسطيني في قطاع غزة، من خلال المظاهرات، وحملات جمع التبرعات لدعم صمود أهالي غزة، حتى وصل الأمر في بعض الدول إلى حدّ مطالبة حكومات الدول الإسلامية بالتحرك الفعلي لوقف الاعتداء الإسرائيلي على قطاع غزة وفتح باب الجهاد للمتطوعين. أما المستوى الثاني فهو مستوى الحكومات الإسلامية الرسمية التي تباينت في مواقفها أيضاً خلال سنة 2009 بين دولة وأخرى، ففي الوقت الذي نجد فيه دعماً إيرانياً سياسياً ومادياً مباشراً، كما نجد تركيا تأخذ موقفاً واضحاً من الاعتداءات الإسرائيلية، ويقف رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdogan ويصف الإسرائيليين بالقتلة ويغادر مؤتمر دافوس Davos conference، نجد منظمة المؤتمر الإسلامي Organization of the Islamic Conference (OIC) ومعظم أعضائها يكتفون بالتنديد والشجب والمطالبة بوقف "العنف".

وفي هذا الفصل سنستعرض بشيء من التفصيل موقف منظمة المؤتمر الإسلامي، بالإضافة إلى مواقف دولتين رئيسيتين لعبتا دوراً بارزاً في القضية الفلسطينية خلال سنة 2009، هما تركيا وإيران، كما سنقف على بعض التحركات الرسمية والشعبية في كل من إندونيسيا وماليزيا وباكستان وتفاعلاتها خلال سنة 2009.

أولاً: منظمة المؤتمر الإسلامي

لم يلاحظ خلال سنة 2009 أي تغير في خطاب أو سياسات منظمة المؤتمر الإسلامي تجاه قضايا الشعب الفلسطيني، والتي تراوحت بين الاستنكار والشجب والإدانة؛ فقد استمرت المنظمة في عمليات الشجب والاستنكار ضدّ الاعتداءات الإسرائيلية والعمليات العسكرية التي شهدها قطاع غزة نهاية سنة 2008 ومطلع سنة 2009، داعية إلى محاكمة "إسرائيل" على جرائم الحرب التي ارتكبتها في قطاع غزة، كما استمرت إعلانات التأييد والدعم للشعب الفلسطيني ولحقوقه في الضفة الغربية وقطاع غزة، والدعوة إلى تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، كما فعَّلت المنظمة نشاطها الدبلوماسي إزاء الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات والحفريات الإسرائيلية في شرقي القدس.

وصعدت منظمة المؤتمر الإسلامي من نشاطها الدبلوماسي للتعامل مع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، فقد عقدت اجتماعاً مع حركة عدم الانحياز (Non-Aligned Movement (NAM، بالإضافة إلى اللقاءات مع الاتحاد الدولي لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر بحضور ممثل المدير العام لمنظمة الصحة العالمية.

وقد قامت منظمة المؤتمر الإسلامي في 2009/1/3، أي بعد نحو أسبوع من بدء العمليات العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة، بعقد اجتماع استثنائي موسع للجنة التنفيذية على مستوى وزراء خارجية الدول الأعضاء للمنظمة. وقد تمخض عن هذا الاجتماع التنديد بشدة بالعدوان الإسرائيلي ضدّ الشعب الفلسطيني، كما أعربت المنظمة عن خيبة أملها إزاء عدم قيام مجلس الأمن الدولي بما يلزم لوقف إطلاق النار، وطالبت المجلس بالنهوض بمسؤولياته في صون السلم والأمن الدوليين. وأبرز ما دعت المنظمة إليه هو "تمركز بعثة مراقبة دولية في قطاع غزة بعد وقف إطلاق النار، ويفضل أن تكون تحت مظلة الأمم المتحدة، لوقف تصعيد النزاع وضمان استقرار الوضع". كما تقرر في هذا الاجتماع التحرك على مستوى سفراء دول المنظمة لعقد اجتماع عاجل لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، لاتخاذ القرارات والتدابير لوقف العدوان، وتأمين الحماية للشعب الفلسطيني من الاعتداءات الإسرائيلية[1].

على ما يبدو فإن منظومة حفظ الأمن والسلم الدوليين المتمثلة بهيئة الأمم المتحدة وأطرها الدولية المختلفة، التي تسيطر على صناعة قرارها بشكلٍ أساسي الولايات المتحدة، لا تُدْخل في حساباتها موقف المنظومة الإسلامية العالمية المتمثلة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، الرافضة للاعتداءات المتكررة من الجانب الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. ولعل ذلك عائد لمواقف وتحالفات بعض الدول العربية والإسلامية، التي تشكل قوة ضاغطة داخل منظمة المؤتمر الإسلامي، مع المنظومة الأمريكية الأوروبية الراعية للكيان الإسرائيلي. من هنا، لم يكن من المتوقع أي ردّ فعل إيجابي من هيئة الأمم المتحدة والدول القائمة عليها للتحرك في سبيل وقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وتنفيذ طلبات منظمة المؤتمر الإسلامي. لذلك نجد أن المنظمة توجهت بشكل رئيسي نحو تقديم العون الإنساني لأهالي غزة، حيث أطلقت المنظمة في 2009/1/4 حملة إنسانية "لتوفير الحد الأدنى والمتطلبات الإنسانية الأساسية للسكان في غزة"[2]. وقد تمكنت المنظمة في 2009/1/14 من إدخال قافلة مساعدات إلى قطاع غزة عبر معبر رفح، ضمت 300 طن من الأدوية والمعدات الطبية والمواد الغذائية. وكذلك انطلقت القافلة الثانية من جدة محملة بـ 170 طن من المواد الطبية والأغذية نحو قطاع غزة، وذلك بالتعاون مع الهلال الأحمر السعودي. كما تعهدت المنظمة في مؤتمر إعادة إعمار قطاع غزة، الذي عقد في مطلع آذار/ مارس 2009 في منتجع شرم الشيخ بالإسهام بـ 100 مليون دولار[3]. كذلك، أدخلت المنظمة في 2009/4/19 قافلة مساعدات إلى سكان القطاع ضمت 23 شاحنة، وفي 2009/5/6 أطلقت المنظمة قافلة إغاثة إنسانية ضمت 43 شاحنة، بلغت

حمولتها نحو ألف طن بقيمة إجمالية تصل إلى ما يقارب ثلاثة ملايين و217 ألف دولار. كما قامت المنظمة في شهر حزيران/ يونيو 2009 بافتتاح أول مستشفى تخصصي للعيون في قطاع غزة. وقد بلغت قيمة المساعدات المقدمة لقطاع غزة خلال الفترة الممتدة من شهر كانون الثاني/ يناير حتى حزيران/ يونيو 2009 نحو ثمانية ملايين دولار[4].

ومما يسجل للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أكمل الدين إحسان أوغلو Ekmeleddin Ihsanoglu خلال سنة 2009 قيامه على رأس وفد رفيع المستوى بزيارة تفقدية لقطاع غزة في 2009/3/15، اطلع خلالها على الدمار الذي لحق بالقطاع خلال العدوان الإسرائيلي. وقد التقى أوغلو والوفد المرافق له بعدد من مسؤولي حماس وممثلي مؤسسات المجتمع المدني، حيث أكد على ضرورة إتمام المصالحة الوطنية الفلسطينية[5].

استمرت المنظمة على امتداد سنة 2009 في إدانتها للاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، وفي تصريح لأكمل الدين إحسان أوغلو أمين عام المنظمة رأى أن ما يحدث من حفريات تحت المسجد الأقصى هو أخطر بمراحل من حريق المسجد الأقصى قبل أربعين عاماً، "لأنه يصيب المسجد بأضرار شديدة الوطء، فهو يؤدي إلى تآكله من أسفله ومن تحته ومن فوقه، فضلاً عن أنه يحاول إدخال عنصر جديد في المعادلة، عبر طرح فكرة تقاسم المسجد بين المسلمين واليهود مثلما حدث للمسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل". وقد أرجع أوغلو سبب عجز المنظمة عن القيام بخطوات فاعلة لإحداث تغير جوهري في الأمر الواقع، الذي يسعى الاحتلال الإسرائيلي إلى فرضه في مدينة القدس، هو غياب الإرادة السياسية للدول الأعضاء في المنظمة، وكذلك غياب الإرادة السياسية الفلسطينية؛ حيث رأى أن التصريحات والاتصالات الدبلوماسية التي تقوم بها المنظمة لن تغير الوضع السيئ الذي تسببت به "إسرائيل" في القدس. وفي قراءة له للتفاعل مع القضية الفلسطينية خلال العدوان على قطاع غزة، رأى أوغلو أن القضية الفلسطينية قد فقدت زخمها ومؤيديها، مُرجعاً ذلك إلى عدم استغلال الفرص التاريخية لتكريس الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني معطياً مثلاً طريقة التعامل مع تقرير جولدستون[6]، وداعياً إلى ضرورة التحرك والضغط على المنظمات الدولية والدول الكبرى لتثبيت الحقوق الفلسطينية[7].

وقد عقدت المنظمة في 2009/11/1 اجتماعاً طارئاً للمجلس التنفيذي على مستوى وزراء خارجية الدول الأعضاء لمناقشة الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى، أكدت فيه أن "قضية الحرم القدسي الشريف تشكل خطاً أحمراً لا يحتمل أي تساهل أو تهاون على الإطلاق". كما أكدت على أن كل التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية والاستيطانية الإسرائيلية الرامية إلى تغيير الوضع القانوني والديموغرافي والعمراني والتراثي والحضاري لمدينة القدس، تشكل انتهاكاً لقرارات الشرعية الدولية والمواثيق والأعراف الدولية، ولا سيّما قرار مجلس الأمن رقم 465. وطالب

المجلسُ التنفيذي مجلسَ الأمن الدولي بإحياء اللجنة الدولية للإشراف والرقابة، لمنع الاستيطان في القدس والأراضي العربية المحتلة طبقاً للقرار رقم 446. كما تمخض عن هذا الاجتماع العديد من القرارات التي تدعو إلى حماية القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية[8].

هكذا تعاملت منظمة المؤتمر الإسلامي مع القضية الفلسطينية طوال سنة 2009، وهو ما اعتادت عليه طوال السنوات الماضية، من شجب واستنكار للاعتداءات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني وعلى المقدسات، ولا يبدو أن هذه الحالة ذاهبة إلى تغيير جوهري في المنظور القريب.

ثانياً: تركيا

فرض العدوان الإسرائيلي على غزة نهاية سنة 2008 وبداية سنة 2009 نفسه على مجمل مسار العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين تركيا و"إسرائيل"، وكذلك على موقف تركيا من القضية الفلسطينية، فضلاً عن معظم الملفات المعنية بها تركيا والمتصلة بهاتين المسألتين، وذلك على مدار سنة 2009.

وقد ترك العدوان تداعيات كبيرة وعميقة على العلاقات الثنائية بين تركيا و"إسرائيل"، وقد انطوى العام من دون تبديل على ما كان قد بدأه.

1. العلاقات الثنائية مع "إسرائيل":

انتفضت تركيا عبر رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان عندما بدأ العدوان على غزة بعد أربعة أيام فقط من زيارة قام بها رئيس وزراء "إسرائيل" إيهود أولمرت إلى تركيا في 2008/12/22، بحيث بدا العدوان كما لو أنه تمّ بعلم تركيا المسبق به من ناحية، وخلافاً لما كان أولمرت قد أبلغ به أردوغان من أن "إسرائيل" لن تقوم بما يعكر الاستقرار النسبي الذي كان قائماً مع غزة من ناحية ثانية. كان هذا باعثاً لأردوغان لاعتبار العدوان عدم احترام لتركيا من خلال نكث أولمرت لوعوده.

وقد تتالت مواقف أردوغان المنددة بقوة بالعدوان على امتداد أيامه والأيام التالية، وكانت ذروتها، كما بات معروفاً، الوقفة الشهيرة لأردوغان في منتدى دافوس في 2009/1/29 حيث احتج على طريقة إدارة الجلسة التي جمعته مع الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز وأمين عام الأمم المتحدة بان كي مون وأمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى، وما لبث أن ترك الجلسة احتجاجاً قائلاً إنه لن يعود مرة أخرى إلى دافوس.

قوبل موقف أردوغان بموجات من التأييد في فلسطين وفي العالم العربي، وباستياء بالغ لدى الجانب الإسرائيلي وفي أوساط مختلفة في الغرب.

وظهر في سياق ردود الفعل الغربية، مواقف للوبي اليهودي في الولايات المتحدة، من خلال رسالة أرسلها إلى أردوغان قبيل دافوس بأيام، يعبر فيها عن حنقه من مواقف أردوغان من "إسرائيل" وتأثيرها على انتشار النزعة المعادية للسامية في تركيا[9].

وعلى امتداد أيام العدوان حرص المسؤولون الأتراك على التعبير عن موقف مبدئي إلى جانب الشعب الفلسطيني في غزة. وحتى عندما انعقد مؤتمر شرم الشيخ بعيد منتصف كانون الثاني/ يناير 2009 امتنع الرئيس التركي عبد الله غول Abdullah Gul عن مرافقة زعماء الدول الأوروبية إلى تل أبيب قائلاً إن تركيا غير معنية به. وتساءل غول "لماذا يذهب زعماء الاتحاد الأوروبي إلى تل أبيب؟ هناك اتفاق بين إسرائيل والولايات المتحدة من أجل مراقبة الأنفاق والمعابر. وقد تطوعت بعض الدول الأوروبية لتقديم المساعدة بهذا الخصوص. وإسرائيل ترى في ذلك مسألة أمنية. ولقد ذهبوا إلى إسرائيل من أجل إظهار دعمهم لها. نحن لا علاقة لنا بهذا الموضوع"[10]. وأشار غول إلى وضع تركيا الخاص بالنسبة لموضوع غزة، فقال بأن تركيا ليست في وارد إرسال قوات إلى القطاع في هذه المرحلة.

ومن قلب مدينة بروكسل كان أردوغان يخاطب الجالية التركية موجهاً كلامه لـ"إسرائيل" قائلاً: "هل غزة أرضكم؟ ماذا تفعلون هناك؟". وانتقد أردوغان ازدواجية المعايير التي يطبقها الغرب "لا حقوق الإنسان ولا الحق ولا القوانين لها أي مكان منذ ثلاثة أسابيع. مجلس الأمن يتخذ قراراً بوقف النار لكن إسرائيل لا تطبقه، فهل اتُّخذت أية عقوبات؟ كلا. نحن تهمنا النتيجة. لماذا هذه الازدواجية في المعايير؟". وقال أردوغان "إن إسرائيل تقول إنها حققت أهدافها. ما هي هذه الأهداف؟ هل هي قتل الأطفال والمدنيين؟ إن مشاعري مع هؤلاء الأطفال. ليس لأنني مسلم بل لأنني إنسان، لقد استخدموا القوة المفرطة. فهل غزة بلدكم؟ أو أرضكم؟ أي عمل لكم هناك؟"[11].

وكانت ذروة الغضب التركي من "إسرائيل" في دافوس عندما فجّر رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان أكبر قنبلة في تاريخ العلاقة التركية مع "إسرائيل"، حين واجه الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز. وقد تحدث أردوغان خلال الجلسة فقال: إنه قبل الحديث عن جهود السلام الحالية يجب أن نقول إننا لا نتحدث عن وضع قبل أربعين سنة بل عن وضع بدأ في حزيران/ يونيو 2008. كان هناك وقف لإطلاق النار ثمّ انتهت التهدئة ولم يطلق أي صاروخ على "إسرائيل" وكان على "إسرائيل" أن ترفع الحصار. غزة سجن كبير في الهواء الطلق، ولم يسمح بدخول حتى صندوق طماطم واحد بسبب إغلاق المعابر. بعد نهاية التهدئة بدأت عمليات قتل الفلسطينيين. لقد أرسلنا مساعدات إنسانية إلى غزة ولم تسمح "إسرائيل" بإدخالها لمدة 15 يوماً.

وذكر أردوغان أن أولمرت رفض عملية تبادل أسرى مع حماس. وتساءل:

> هل يوجد ذرة واحدة لدى حماس من أسلحة الدمار الشامل الذي تمتلكه إسرائيل؟ إذا كنت أعرف شيئاً فهو أنه لا يوجد. لقد رفضت إسرائيل الاعتراف بالقرار 1860. ودمرت مباني الأمم المتحدة والمدارس التابعة لها... وماذا فعلت البشرية إزاء ذلك؟ وقفت تتفرج.

شرط السلام في العالم هو السلام في الشرق الأوسط، ويجب هنا الاعتراف بخيار الشعب الفلسطيني الذي صوّت لكتلة الاصلاح والتغيير (حماس). لأن الاستمرار في التحدث إلى عباس فقط لن يحل المشكلة.

وقال أردوغان:

يا سيد بيريز أنت أكبر مني في العمر لكن صوتك كان مرتفعاً كثيراً. أنا أعرف أن ارتفاعه بهذا الشكل هو تعبير عن نفسية متَّهم. وفيما يخص القتل فأنت تعرفه جيداً جداً. وأنا أعرف جداً كيف قتلتم الأطفال عند الشاطئ. ويوجد رؤساء حكومة عندكم يتباهون بأنهم يشعرون بالفرح عندما تدخل الدبابات غزة. وأنا أعيب على من يصفقون لهذه المظالم [في إشارة إلى تصفيق الحضور لكلمة بيريز].

وبالرغم من محاولة مدير الجلسة إسكات أردوغان ومنعه من مواصلة كلامه، أصرّ أردوغان على الكلام واستشهد بمقاطع كانت معه في ورقة أخرجها من الملف الذي معه وفيها استشهادات من التوراة حول عدم وجود القتل. وقال أردوغان: "لكن هنا يوجد قتل"، واستشهد بأقوال لباحثين يهود في جامعة أوكسفورد Oxford University وصفوا "إسرائيل" بـ"البربرية" وأنها تحولت إلى "دولة عاصية". وختم أردوغان بالقول: "بالنسبة لي انتهى دافوس ولن أعود مجدداً، لقد تكلم بان كي مون 6 دقائق وتكلمت أنا 12 دقيقة وعندما وصل عمرو موسى إلى الدقيقة العاشرة أوقفه مدير الجلسة عن الكلام أما بيريز فقد تكلم 25 دقيقة".

وبعد هذا ترك أردوغان مقعده مغادراً الجلسة وتقدم إليه وهو يغادر عمرو موسى مهنئاً على كلامه لكن موسى بقي في مكانه ولم يقتد بأردوغان.

وصرح أردوغان بعد مغادرة الجلسة قائلاً: "لقد كانت اجتماعات دافوس غير عادلة. أنا رأسي مرن ولكني لست خروفاً وديعاً"[12].

وتحوّلت عبارة "دقيقة واحدة" One Minute إلى كلمة مرور وشعار تتناقلها المواقع الإلكترونية التركية، وتعتبرها الشعار الجديد لحزب العدالة والتنمية Justice and Development Party (*Adalet ve Kalkınma Partisi*)، كما أصبحت شائعة الاستخدام من قبل المتصلين بالبرامج التلفزيونية. وهم يشبّهونها بشعار الرئيس الأمريكي باراك أوباما "نحن نستطيع" Yes We Can. وكان أردوغان كرر أكثر من مرة عبارة "دقيقة واحدة"، في سياق الطلب من مدير الجلسة ديفيد إغناتيوس David Ignatius إعطاءه الكلام، أو السماح له بمواصلة تعقيبه على بيريز أو لمنع مدير الجلسة من مقاطعته، وقد قالها أردوغان بالإنجليزية وليس بالتركية.

وفور عودته إلى مطار إسطنبول بعد ساعات قليلة من جلسة دافوس كان في استقبال أردوغان في المطار الآلاف من الناس التي عطلت حركة الشوارع ورفعت أعلام تركيا وفلسطين ويافطات وصف بعضها أردوغان بـ"فاتح دافوس" وبـ"الزعيم الجديد للعالم". واستمر التجمهرعند

منزل أردوغان إلى ساعات الصباح الأولى حيث نثر المواطنون آلاف أزهار القرنفل أمام منزله والطرقات المحيطة به عربون تأييد لمواقفه[13].

ولعل أهم ما قاله أردوغان في مطار إسطنبول بعد عودته إلى تركيا هو "إنني لست دبلوماسياً متقاعداً لأتكلم بلغة دبلوماسية بل واحد من الذين جاؤوا من السياسة. أنا لا أعرف اللياقات الدبلوماسية ولا أريد أن أعرفها. أنا لست زعيم قبيلة بل رئيس حكومة تركيا. والسياسي يجب أن يعرض موقفه بوضوح وقد فعلت ما يجب القيام به". وقال إن "أي رئيس للوزراء في تركيا كان سيتخذ الموقف نفسه. إن المسألة اعتبار واحترام تركيا ولن أسمح لأحد بأن ينتهك شرف بلادي"[14].

وظهراً أدى أردوغان الصلاة في جامع بيالي في إسطنبول وتحدث بعد ذلك في افتتاح خط للمترو مكرراً مواقفه قائلاً "إن المهم ليس ما يقوله الآخرون، بل ماذا نقول نحن". وأضاف "إن السكوت عن الظلم ظلم. وإن خصالنا الإنسانية أهم من حساب التوازنات السياسية".

وتلقى أردوغان دعماً كبيراً من رئيس الجمهورية عبد الله غول عندما قال الأخير أن أردوغان أجاب بما يتطلبه الوضع. وأضاف غول إنه عندما يتعرض رئيس الحكومة لعدم الاحترام فهو لا يمكن أن يسكت على الإساءة، فهو أعطى الجواب الضروري وقام بما يجب أن يقوم به. وقال إن تركيا دولة كبيرة وعلى الجميع الاستفادة من دورها، وإذا كان هناك من لا يريد الاستفادة فهذا شأنه[15].

وفي أول استطلاع للرأي، بعد حادثة دافوس بين رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان والرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، وجد 78% من الأتراك موقف أردوغان إيجابياً وصحيحاً. ودعم 82% موقف الحكومة التركية من أحداث غزة[16].

وفي الاستطلاع الذي أجرته شركة متروبول للإحصاء MetroPOLL لم يجد سوى 13% موقف أردوغان "غير سليم". ورأى 75% أن أردوغان شخص "مستقيم وموثوق" ورأى 81% أنه "قوي وصاحب قرار" و70% أنه "ديموقراطي وحر". ورأى 44% أن ردة فعل أردوغان لا تشجع المعاداة للسامية، فيما رأى 37% العكس. وتوقع 41% انعكاسات سلبية على العلاقة مع "إسرائيل" مقابل 37% قالوا العكس.

وقال 49% إنهم سيصوتون إلى جانب حزب العدالة والتنمية، علماً أن الحزب في انتخابات 2007 نال 47%، وأن استطلاعات سابقة على حادثة دافوس كانت تعطيه 39%. وقد حلت الأحزاب الأخرى في مراتب متأخرة جداً، إذ حصل حزب الشعب الجمهوري Republican People's Party (*Cumhuriyet Halk Partisi*) العلماني المتشدد المعارض على 11%، وحزب الحركة القومية Nationalist Movement Party (*Milliyetçi Hareket Partisi*) اليميني المتشدد على 5% فقط[17].

في هذا الوقت توالى التأييد لأردوغان من جانب القوى حتى المعارضة له داخل تركيا. فدولت بهتشلي Devlet Bahçeli، زعيم حزب الحركة القومية، كان أكثر المنددين بسلوك الرئيس الإسرائيلي أثناء جلسة دافوس. وقال بهتشلي إن سلوك بيريز "نموذج للغطرسة والوقاحة التي لا يمكن لأمتنا العزيزة أن تقبلها"، ووصف ردة فعل أردوغان بأنها "محقة ومشروعة وفي محلّها". وأضاف إن ترك أردوغان للجلسة لم يكن ظرفياً بل كان لحماية شرف تركيا، وينهي تاريخاً من سياسة الإذعان. وأدان بهتشلي بشدة الحركات التي أبداها بيريز تجاه أردوغان أثناء الجلسة[18].

كما جاء دعم لموقف أردوغان، للمرة الأولى، من جانب حزب السعادة الإسلامي Felicity Party (*Saadet Partisi*)، التابع لنجم الدين أربكان Necmettin Erbakan، على لسان رئيسه نعمان كورتولموش Numan Kurtulmuş. فيما قالت جريدة الحزب الرسمية ميلّي غازيت Milli Gazete إنه للمرة الأولى منذ وصوله إلى السلطة سنة 2002 يتخذ أردوغان موقفاً صحيحاً[19].

وكان لافتاً أيضاً أن ينضم المنافس الأول لأردوغان، زعيم حزب الشعب الجمهوري دنيز بايكال Deniz Baykal، إلى قائمة المعترضين على سلوك شمعون بيريز الذي قام بما يتجاوز اللياقات تجاه أردوغان. لكن بايكال دعا إلى عدم توظيف الحادثة في السياسة الداخلية، معتبراً أن العلاقات التركية الإسرائيلية لن تتأثر، خصوصاً بعدما بادر بيريز إلى إبداء أسفه لأردوغان[20].

وانتقد حزب المجتمع الديموقراطي Democratic Society Party (*Demokratik Toplum Partisi*) الكردي الممثل في البرلمان بـ 21 نائباً "إسرائيل"، وقالت نائبة رئيسه أمينة إينا Emine Ayna "إننا نقاسم الشعب الفلسطيني آلامه، لأننا نعاني من الآلام نفسها هنا" لكنها انتقدت بشدة أردوغان الذي هو أيضاً يعرف القتل جيداً، الذي يعرف كيف تُزهق الأرواح الكردية على يد الجيش التركي[21].

وقد ظهر إجماع بين جميع الكتاب في تركيا بمختلف انتماءاتهم على أن أردوغان كان محقاً في وقفته منتقدين "إسرائيل" ورئيسها.

يهود تركيا:

وبرز من جهة أخرى، موقف الطائفة اليهودية في تركيا التي عبرت على لسان رئيسها سيلفيو أوفاديا Silvio Ovadia عن قلقها من النزعة المعادية لليهود في تركيا بعد العدوان على غزة وحادثة دافوس.

يقول أوفاديا إنه كلما حصلت أحداث في الشرق الأوسط تظهر هذه النزعة في العالم، وذلك لأن "إسرائيل" هي الدولة اليهودية الوحيدة في العالم، ولو كانت هناك دولتان يهوديتان أو أكثر لما حصل ذلك. والسبب الثاني هو عدم التمييز بين الإسرائيلي وبين اليهودي الذي يكون مواطناً لدولة

أخرى و"هذه هي المشكلة التي نعيشها في تركيا. الجميع ينظر إلينا على أننا جزء من إسرائيل. وكما توجد عاطفة بين المسلمين في تركيا والمسلمين في السعودية أو فلسطين توجد مثلها بين اليهود وبين إسرائيل كدولة يهودية أي إن الرابطة دينية ليس أكثر".

ويقول أوفاديا إن المشكلة الأكبر لليهود في تركيا لا تتعلق بالحريات الدينية وأن توجد بعض القيود. و"على الرغم من أنه ليس في تركيا سفير يهودي واحد ولا ضابط يهودي واحد. ومع أننا نؤدي الخدمة العسكرية ونقوم بكل واجبات المواطنية التركية وننسجم مع الثقافة التركية ونتكلم اللغة التركية، لكن مشكلتنا الكبرى أنه ينظر إلينا على أننا أجانب".

ويقول أوفاديا عن التأثيرات العملية اليومية من نزعة العداء لليهود في تركيا بأن مرتادي الكنس تراجعت نسبتهم بحوالي 20%، لكن هذا مؤقت. غير أن أوفاديا يشدد على أن أي يهودي لم يتعرض لأي اعتداء جسدي، والقوى الأمنية تحمي الكنس بأعداد كبيرة لا تصدّق وبصورة زائدة عن اللزوم، بل "طلبنا التقليل منها لكن السلطات الأمنية رفضت".

ويقول أوفاديا إن أكثر ما أقلق الجماعة اليهودية في تركيا، هو دقيقة الصمت التي دعت إليها وزارة التربية في المدارس. وقال إنه كان سيُنظم في المدارس مسابقات حول غزة في الرسم والإنشاء ويشارك فيها طلاب بعمر سبع سنين. أي أن الرسم الأفضل سيكون الأكثر دموية. وهنا اتصل أوفاديا ببعض نواب حزب العدالة والتنمية الذين اتصلوا بوزير التربية وقد تمّ التراجع عن قرار إقامة هذه المسابقة[22].

دافوس عسكرية:

شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية في شهر شباط/ فبراير 2009 أزمة غير مسبوقة، كانت أقرب إلى "دافوس عسكرية"، بسبب التصريحات التي أدلى بها قائد القوات البرية الإسرائيلية آفي مزراحي Avi Mizrahi، والتي تهجم فيها على رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان شخصياً وعلى الأتراك، متهماً إياهم بتنفيذ المجازر ضدّ الأرمن والأكراد، وباحتلال شمال قبرص، داعياً أردوغان إلى أن "ينظر إلى نفسه في المرآة" أولاً[23].

وقد لوحظ أن الرد الأعنف والأول على هذه التصريحات جاء من جانب المؤسسة العسكرية التركية، تلاها بيان وزارة الخارجية. وهذه هي المرة الأولى التي تشهد العلاقات الثنائية سجالاً بين المؤسسة العسكرية في البلدين، الأمر الذي يعكس عمق الجراح التي أحدثها مزراحي في المزاج والوعي التركي، خصوصاً أن الاتهامات لم تقتصر على التهجم الشخصي على رئيس الوزراء التركي أردوغان، بل طالت ثوابت قومية في تركيا فيما يتعلق بالقضية الأم في قبرص، وبالمسألة الأرمنية فضلاً عن قضية تحظى بشبه إجماع في الداخل، مثل مكافحة حزب العمال

الكردستاني (*Partiya Karkerên Kurdistan*) Kurdistan Workers' Party. ولعل أهم ما تطرق إليه بيان الجيش التركي هو إشارته العلنية للمرة الأولى إلى الضرر الذي قد تلحقه هذه التصريحات بالمصالح القومية لكلا البلدين.

وجاء جواب رئاسة الأركان التركية أولاً على تصريحات المسؤول العسكري الإسرائيلي، وفيه أن رئاسة الأركان تنظر إلى التصريحات المنسوبة إلى الشخص المذكور، مزراحي، وكما جاءت في وسائل الإعلام، على أنها "تحرّف الوقائع، وتتجاوز مقصدها، وسيئة، ولا يمكن قبولها بأي شكل، ولا تليق بالمسؤوليات التي يشغلها مُطْلِقها، والأهم أنها تعابير قد تلحق الضرر بالمصالح القومية بين البلدين". وتابع البيان "إن رئاسة الأركان تنتظر تفسيرات من رئاسة الأركان الإسرائيلية، التي نظن أنها تولي أهمية للعلاقات مع القوات المسلحة التركية"[24].

وجاء في بيان وزارة الخارجية التركية أن:

> تصريحات مزراحي تضمنت تعابير متعارضة تماماً مع الأعراف الدبلوماسية والوقائع التاريخية واليومية. ولقد تمّ الاحتجاج، عبر مذكرة، على الاتهامات والهذيانات غير المقبولة الموجهة ضدّ رئيس حكومتنا وبلدنا. إلى ذلك أن تلك التصريحات لا سند لها ولا يمكن قبولها وينتظر من جانب السلطات الإسرائيلية إيضاحات عاجلة حول هذا الوضع[25].

وجاء الرد الاسرائيلي سريعاً، بقول المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي إن تصريحات مزراحي لا تمثل رأي الجيش الإسرائيلي، ولا تُلزمه، وهي تصريحات شخصية.

السياحة الإسرائيلية في تركيا:

في فترة وجيزة، ترك التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية أثره ولا سيّما على السياحة الإسرائيلية في تركيا. وقد تحدَّث السفير الإسرائيلي في تركيا غابي ليفي Gabby Levy عن أن العلاقات بين البلدين تبرد وتتراجع[26].

وأعطى ليفي أرقاماً مهمة عن مدى هذا التراجع؛ بقوله إن الرحلات الجوية الإسرائيلية إلى تركيا من "إسرائيل" كانت تقارب العشر رحلات أسبوعياً فيما الآن (شباط/ فبراير 2009) تبلغ بالكاد رحلة أو اثنتين. كذلك كان عدد السائحين الإسرائيليين في تركيا خلال أشهر الشتاء والربيع يتجاوز الـ 150 ألفاً، فيما الآن عددٌ قليل جداً يكاد يكون صفراً[27]. ويقول ليفي إنه على الرغم من أن المؤسسات السياحية التركية تقدم عروضاً خيالية للسائحين الإسرائيليين، فإنهم لا يتجرأون على القدوم إلى تركيا. فبعض المؤسسات تعرض ثلاثة أيام كاملة تغطي كل نفقات السفر والإقامة والبرنامج مقابل مئتي دولار فقط، بل إن بعضها عرض يومين أو ثلاثة مجاناً. ويقول ليفي إنه يمكن القول إن السياحة الشتوية بين "إسرائيل" وتركيا قد ماتت تماماً.

ويرى ليفي أن عدم قدوم السائحين الإسرائيليين لا يعود إلى مواقف رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان في دافوس، بل إلى تعاظم النزعة المعادية للسامية واليهود في تركيا وسط الناس، وفي وسائل الإعلام. ويرى أن حادثة مباراة كرة السلة بين فريق إسرائيلي وآخر تركي في أنقرة، والتي لم تجر بسبب غضب الجمهور التركي وهروب اللاعبين الإسرائيليين من أرض الملعب، كانت مؤثرة جداً في إحداث الصدمة الأكبر، وعدم جرأة الإسرائيليين على القدوم إلى تركيا للسياحة.

المناورات مع سورية:

شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية توتراً جدياً، من جراء إجراء تركيا مناورات عسكرية مع سورية للمرة الأولى في تاريخ العلاقات بينهما في نهاية شهر نيسان/ أبريل 2009.

وقد تولى رئيس الأركان التركي ايلكير باشبوغ İlker Başbuğ بنفسه مهمة الرد على تصريحات لمسؤولين وباحثين إسرائيليين، عبّروا عن انزعاجهم وقلقهم من المناورات العسكرية المشتركة بين تركيا وسورية. ففي مؤتمر صحفي شامل عقده في 28 نيسان/ أبريل تطرق باشبوغ إلى الانتقادات الإسرائيلية، قائلاً إنها "لا تعنيه" وإن المناورات مع سورية شأن خاص بتركيا ولا علاقة لأحد به. وأكد باشبوغ على أهمية المناورات قائلاً إنها "مناورات صغيرة لكنها مهمة لأنها تحدث للمرة الأولى".

وقد كتب إبراهيم قره غول İbrahim Karagül في جريدة يني شفق Yeni Şafak "إن القلق الإسرائيلي الأساسي، ليس من أن تكون المناورات مشروعاً لحزب العدالة والتنمية بل من أن تكون سياسة للدولة التركية. سابقاً كانت إسرائيل تشتغل على الخلاف العسكري – المدني في تركيا، أما من اليوم فصاعداً فلن يمكنها اللعب على هذا الوتر وهذا مبعث انزعاجها"[28]. ويقول قره غول إنه كلما ازداد نفوذ تركيا في المنطقة كلما ضاق مجال تأثير "إسرائيل".

من جهته أعرب الكاتب حاقان البيرق Hakan Albayrak في جريدة يني شفق عن "شكره الكبير" لله لأن "إسرائيل" منزعجة من هذه المناورات مع سورية. ويقول البيرق إن الانزعاج الإسرائيلي والأمريكي والأطلسي "أمر يجب أن يفرحنا". ويكشف حاقان البيرق كذب الإسرائيليين، ولا سيّما افرايم عنبار Efraim Inbar، رئيس مركز بيغن–السادات للأبحاث الاستراتيجية The Begin-Sadat (BESA) Center for Strategic Studies، من أن المناورات بين تركيا وسورية لا تثير ارتياح الجيش التركي، ويتساءل البيرق: "تحت عَلَم من تجري المناورات؟ هل تحدث تحت العَلَم اليوناني؟".

أردوغان في الأمم المتحدة:

لم تترك تركيا مناسبة إلا عبرت فيها عن تنديدها بالممارسات الإسرائيلية، ومن أبرز تلك المواقف التي أطلقها أردوغان من على أعلى منبر أممي في نيويورك في نهاية أيلول/ سبتمبر 2009.

وفي كلمته تكلم أردوغان بلغة إنسانية وقانونية وأخلاقية واضحة، فدافع عن القضية الفلسطينية وعن غزة تحديداً دفاع المرابط على ثغرها حيث قال: "الناس هناك يعيشون في الخيم ولا يجدون مياهاً يشربونها. وأمام هذا المشهد هل مارسنا دورنا الإنساني؟ وما الذي فعلته الأمم المتحدة أو مجلس الأمن؟ ألا يملكان من قدرة على فرض العقوبات أم لا؟". واتهم أردوغان القوى الكبرى بممارسة ازدواجية في التعامل مع المنطقة قائلاً: "بقدر ما الأمن مهم لإسرائيل فإنه مهم أيضاً للفلسطينيين. وبقدر ما تريد إسرائيل أن تكون مستقرة بقدر ما هو مشروع للشعب الفلسطيني أن يكون حراً ويعيش في سلام". كما اتهم المجتمع الدولي بأنه لم يفِ بتعهداته قبل ثمانية أشهر بإعادة إعمار غزة عندما منعت "إسرائيل" مرور مواد البناء إلى داخل القطاع.

وتأتي أهمية كلام أردوغان أنه جاء بعدما اجتمع مع قادة المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة. وعرض أردوغان للقائه مع المنظمات اليهودية، فقال إن المشكلة تنبع من أنهم يعلنون الناس في غزة "إرهابيين". وهم يعارضون إعادة بناء غزة حتى لا يستخدمها "الإرهابيون". وأضاف أنه سألهم: "كيف يمكن لكم إعلان 1,400 قتيل على أنهم إرهابيون؟ لقد استخدم الفوسفور في القتل وجرح الآلاف من المدنيين فكيف يمكن إعلانهم إرهابيين؟ إن النظر إلى غزة بعين الإرهاب يعني استحالة الوصول إلى مكان ما".

ولم يكتف أردوغان بكلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. ففي وقت كانت أنظار العالم قد توجهت إلى إعلان إيران وجود مفاعل نووي ثانٍ في مدينة قم، كان أردوغان يشير إلى عنوان آخر هو "إسرائيل". حيث صرّح بقوله "لقد تحدث أحمدي نجاد عن أنهم لا يريدون إنتاج سلاح نووي بل تخصيب اليورانيوم لأهداف سلمية. نحن ضدّ وجود أسلحة نووية في الشرق الأوسط. لكن في الشرق الأوسط يوجد بلد عنده سلاح نووي هو إسرائيل. الفارق أن إسرائيل ليست موقعة على اتفاقية منع الأسلحة النووية فيما إيران موقعة عليها".

وقال: "لقد استخدمت إسرائيل الفوسفور ضدّ غزة. ما هذا؟ سلاح دمار شامل. وبنتيجته قتل ألف وأربعمئة امرأة وطفل وجرح خمسة آلاف شخص. فلماذا لا نتحدث عن هذا؟ لماذا لا تناقش هذه المسألة؟". وأضاف أردوغان في ذروة تصريحه: "ننام ونستيقظ ونقول إيران. فلنكن أكثر عدلاً، وإذا كنا نريد سلاماً عالمياً فلنسلك بصورة أكثر استقامة"[29].

وبموازاة موقف أردوغان، أعلن وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو Ahmet Davutoglu أنه ألغى زيارة لـ"إسرائيل" كان يعتزم القيام بها خلال تشرين الأول/أكتوبر 2009، بعدما رفضت "إسرائيل" السماح له بالانتقال عبر "إسرائيل" إلى غزة.

ووصل التوتر بين تركيا و"إسرائيل" إلى ذروته مع إعلان الصحف الإسرائيلية في 2009/10/10 أن تركيا ألغت مشاركة "إسرائيل" في مناورات نسر الأناضول Anatolian Eagle exercise، والتي ألغيت بالكامل في ما بعد. والأهم أن وزير الخارجية التركي قد ربط إلغاء المناورات بالوضع في غزة، وأن العلاقات لن تتحسن ما لم يتحسن الوضع في غزة. وذكر بيان لوزارة الخارجية أن المناورات المذكورة لها شقان؛ وطني ودولي، والمناورات الوطنية تقام في موعدها فيما تأجلت المناورات ذات الطابع الدولي بالتشاور مع الأطراف المعنية، وفقاً لما أوضحه بيان رئاسة الأركان. وبالتالي ليس لتأجيل هذه المناورات، أية دلالات أو نتائج سياسية. وقال البيان إن التصريحات المنسوبة للمسؤولين الإسرائيليين أمر لا يمكن القبول به. ودعا هؤلاء المسؤولين إلى "التصرف في تصريحاتهم ومواقفهم وفقاً لما يقتضيه العقل السليم"[30].

وفي أول تعليق له على تأجيل مناورات نسر الأناضول، قال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو في حوار مع المحطة الأمريكية سي إن إن CNN "إن الوضع في غزة يجب أن يتحسن، وهذا سوف يخلق مناخاً جدياً في العلاقات بين تركيا وإسرائيل. لكن في ظلّ استمرار الوضع الراهن فسنبقى ننتقد المقاربة الإسرائيلية للوضع"[31].

أما أول ردة فعل إسرائيلية عليا، فجاءت على لسان وزير الدفاع إيهود باراك الذي وصف العلاقات مع تركيا بأنها استراتيجية، داعياً إلى عدم إلحاق المزيد من الأذى بها. وقال باراك "إن تركيا قوة مركزية في المنطقة وعلاقاتنا معها استراتيجية وتعود لعقود، وبالتالي يجب عدم توجيه الانتقاد إليها"[32].

وتواصلت الحملات الإعلامية بين تركيا و"إسرائيل" بعد أزمة المناورات العسكرية، كما ظهر في المسلسل التلفزيوني التركي "الانفصال: فلسطين في العشق والحرب"، الذي يعكس وحشية الجنود الإسرائيليين في التعامل مع الفلسطينيين. وبعدما احتج السفير الإسرائيلي في أنقرة غابي ليفي لدى السلطات التركية على تصوير المسلسل "إسرائيل" على أنها شيطان، شنّ رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان من جديد هجوماً في مدينة كيرشهر Kırşehir، حيث نعت الإسرائيليين من دون أن يسميهم بالظالمين. وفي إشارة إلى أهل غزة وأطفالها قال أردوغان "إن في هذا العالم بعض الناس الذين يحتاجون إلى كوب ماء أو كوب حليب. كما يوجد البعض ممن يفتح عينيه على الألم والدموع والمرارة واليأس والقنابل الفوسفورية"[33].

وفي صلة بمسلسل "الانفصال" قال بعض مندوبي شركات السياحة في تركيا إن الأزمة الحالية، ولا سيّما حول مسلسل "الانفصال" أدت إلى إلغاء حجوزات كثيرة في المدى القريب. وأنه إذا انتهت الأزمة الآن فإن آثارها السلبية على قدوم السياح الإسرائيليين ستستمر لمدة شهر على الأقل. وفي إحصاءات سياحية رسمية، فإن عدد السياح الإسرائيليين إلى تركيا بلغ 200 ألف سائح في سنة 2009، بتراجع يقارب النصف عما كان عليه سنة 2008 وهو 400 ألف سائح.

وسجل خليل باقرجي، رئيس بلدية ريزه على البحر الأسود، اسمه في سجل المعترضين على سياسات "إسرائيل" عندما وجه انتقادات قاسية إلى السفير الإسرائيلي غابي ليفي الذي زاره في مقر البلدية في زيارة لم تستغرق خمس دقائق في 2009/11/3. وقال خليل باقرجي: "لدى إسرائيل سياسة توسعية واحتلالية، وما دامت مستمرة فيها فإن الشعب التركي لن يغير نظرته إلى إسرائيل. وأنا على قناعة من أن إسرائيل يجب أن تغير نظرتها إلى العالم وجيرانها...". وذكر باقرجي أن اتفاقيات السلام التي وقعتها "إسرائيل" مع مصر والأردن هي اتفاقيات جاءت من طريق الحرب. وأضاف قائلاً للسفير الإسرائيلي إن السلام لن يتحقق بقتل الأطفال[34].

وبعد ذلك تعرض السفير الإسرائيلي للرشق بالبيض عندما كان يزور بعض المؤسسات في مدينة طرابزون Trabzon.

وفي ظلّ محاولات بنيامين بن إليعازر Binyamin Ben-Eliezer وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي للتخفيف من التوتر بين تركيا و"إسرائيل" ودعوته تركيا لتكون وسيطاً محايداً، رمى الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز قنبلة أثارت اهتمام الأتراك واستيائهم. ففي حديث لمجلة أمريكية قال بيريز "إن تركيا هي الدولة الوحيدة حيث تحمي مؤسسة غير ديموقراطية، هي الجيش، الديموقراطية. وقد قام الجيش بمهمته. لكن اليوم دور الجيش تغير. والسؤال اليوم هو: هل سيقود أردوغان شعبه إلى الديموقراطية أم أن القوى الديموقراطية ستطالب بدولة أكثر إسلامية؟". وأضاف بيريز إن موقف الاتحاد الأوروبي أوجد خيبة أمل في تركيا دفعها إلى خيارات جديدة. ولكن لا يعرف المدى الذي سيذهب إليه أردوغان في توجهه الجديد. وحول الوساطة التركية بين سورية و"إسرائيل"، قال بيريز إنه إذا أرادت تركيا أن تكون وسيطاً فعليها التخلي عن أن تكون أقرب إلى طرف دون آخر[35].

وقال الرئيس الإسرائيلي إنه يجب الانتباه في موضوع التعاون التكنولوجي بين البلدين لأنه موضوع قائم منذ وقت طويل. وأضاف "إن تركيا بلد محترم في المنطقة، وعضو في حلف شمال الأطلسي، ويجب أن نكون صابرين وأن نقرأ جيداً الخريطة، وألا نكون ضحايا توترات آنية بين البلدين". معتبراً أن وقوف تركيا إلى جانب إيران في الملف النووي يقلل من احترامها وفق المعايير الدولية[36].

وقد وصفت بعض التعليقات الصحفية التركية تصريحات بيريز بأنها تهديد لتركيا بانقلابات عسكرية. كما لفتت إلى أن بعض التفاهمات الاقتصادية التي وقعها وزير الصناعة والتجارة الإسرائيلي بن إليعازر لم تكن مع نظيره التركي المختص بالاقتصاد، بل مع وزير الدفاع التركي وجدي غونيل Vecdi Gönül!.

وفي دليل آخر على تردي العلاقات التركية مع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، لم يلتق رئيس الحكومة التركية أردوغان أي مسؤول يهودي خلال زيارته التي قام بها إلى الولايات المتحدة في 2009/11/5، وهي المرة الأولى منذ بداية التسعينيات، التي لم يلتقِ فيها مسؤول تركي رفيع المستوى أياً من مجموعات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة. وكان الرئيس الراحل تورغوت أوزال Turgut Özal قد سنّ هذه العادة، واستمر على منوالها كل رؤساء الجمهورية والحكومة اللاحقين.

وقالت جريدة ميلّيت Milliyet إن سبب عدم حصول هذه اللقاءات كان بطلب من أردوغان الذي لم يجد فائدة منه، خصوصاً أن لقاءه بالمجموعات اليهودية في أيلول/ سبتمبر 2009، على هامش اجتماعات الأمم المتحدة لم يكن ودياً، وشهد حدة في النقاش خصوصاً حول موقف تركيا من غزة ومن "إسرائيل" وإلغاء المناورات العسكرية معها.

لكن قبيل الذكرى السنوية الأولى لعدوان غزة حصل لقاء هو الأول بين مسؤول تركي رفيع المستوى وآخر إسرائيلي، وقد حدث ذلك في 2009/12/18 على هامش قمة كوبنهاجن للمناخ Copenhagen UN Climate Change Conference 2009 بين الرئيس التركي عبد الله غول ونظيره الإسرائيلي شمعون بيريز واستمر لمدة ساعة. وقد وجه غول دعوة لنظيره الإسرائيلي لزيارة تركيا، على أن تسبقها زيارة لوزير الخارجية أحمد داود أوغلو إلى "إسرائيل" للإعداد لها.

2. المسار الفلسطيني:

لم تكن عبارات مثل: "إسرائيل ستغرق في دموع أطفال غزة" و"العدوان جريمة إنسانية" و"قادة إسرائيل لن يفلتوا من محاكمة التاريخ لهم" و"مجازر غزة لطخة سوداء على جبين مرتكبيها" و"حيث يوجد ظلم لا يمكن أن نسكت عليه"؛ سوى نماذج من مجمل الخطاب الرسمي التركي الذي ردده رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان أكثر من غيره. وإذا أضفنا إلى هذه التعابير قول وزير العدل التركي محمد علي شاهين إن "إسرائيل" هي المحرّض الأول على الإرهاب العالمي لاكتملت الصورة.

قد لا يكفي إيراد هذه العبارات لتوضيح الموقف الوجداني لرجب طيب أردوغان. فانفعال أردوغان، بتعابير وجهه وحركات يديه، وهو يطلق هذه العبارات لا يمكن لكلمة مكتوبة أن تعبّر عنه. لقد سعى أردوغان منذ اللحظة الأولى إلى وقف لإطلاق النار لإيقاف المجزرة أولاً، وأيضاً لفتح

المعابر جميعها إلى غزة، ومن ثم إرسال المساعدات الإنسانية. بل أعلن أنه سيحمل مطالب حماس إلى الأمم المتحدة، وهي المنظمة المتهمة بالإرهاب في عيون ما يسمى "المجتمع الدولي"[37].

وقد انتفضت تركيا من أقصاها إلى أقصاها دفاعاً عن غزة، وشهدت إسطنبول إحدى أكبر التظاهرات ليس منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة بل ربما في تاريخها... ورفع المتظاهرون شعارات "الموت لإسرائيل وأمريكا". وهتفوا بدعوة الجيش التركي إلى دخول غزة دفاعاً عنها.

ولم يتردد نجم الدين أربكان، على الرغم من عجزه عن المشي، من مخاطبة الحشود بكلمة وجهها عبر الفيديو وقال فيها إنه يلعن المظالم الإسرائيلية، مخاطباً أمريكا أنه إذا كانت تحب "إسرائيل" إلى هذه الدرجة فلتعطها إحدى ولاياتها. وقال أربكان إن الفلسطينيين يدافعون ليس فقط عن بلادهم، بل عن كل العالم الإسلامي[38].

وعلى امتداد جادة الاستقلال في إسطنبول، سار فنانون أتراك حاملين لافتات مثل: "كل أرض غزة، كلنا فلسطينيون". وفي أنقرة أيضاً تظاهر الآلاف في ميدان عبدي ايبكتشي وهم يلعنون "إسرائيل". ورفعت لافتات كتب عليها: "إسرائيل قاتلة، الحرية لفلسطين"، "الدعاء لفلسطين، الموت لإسرائيل"، ورشقت صور للرئيس الأمريكي جورج بوش George W. Bush بالأحذية[39].

وفي احتفال في مدينة انطاليا Antalya مساء الأحد 2009/1/4، قال رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان إن "آهات المظلومين لن تبقى بلا ردّ فعل، وإن ما تفعله إسرائيل هو الظلم بعينه. ولم نقدر على أن نبقى متفرجين"[40].

وانتقلت المبادرة أيضاً إلى أمينة أردوغان Emine Erdoğan، عقيلة رئيسة الحكومة رجب طيب أردوغان، التي عقدت على عجل في مطلع كانون الثاني/ يناير 2009 "قمة نسائية" طارئة، تحت عنوان "ملتقى إسطنبول لدعم غزة". وكانت كلمتها مؤثرة إذ تحدثت، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وعلى خلفية صورة كبيرة للكوفية الفلسطينية، عن مأساة غزة بأطفالها ونسائها وناسها. وقالت أمينة أردوغان إن على مَنْ بقي متفرجاً على مجازر غزة أن يحاكم ضميره، وقالت إن قتل العزل البريئين انهيار للإنسانية[41].

ومن إسطنبول انطلقت السبت 2009/1/10 مسيرة سيّارة، نظمها "وقف التضامن"، تضم أكثر من ألفي سيارة بهدف عبور تركيا وسورية وصولاً إلى تخوم الجولان، تعبيراً عن رفض العدوان على غزة وسياسات "إسرائيل" الإجرامية. وقال رئيس الوقف حسني كيليتش Hüsnü Kılıç إننا نذهب إلى قبالة الأراضي التي تحتلها "إسرائيل" في الجولان، تحت شعار "وأنا أيضاً موجود من أجل فلسطين". وقال "إننا نريد أن نظهر إرادة التضامن والمقاومة مع إخوتنا في التاريخ والإيمان والثقافة في فلسطين". ورفعت السيارات الأعلام التركية والفلسطينية[42].

وكان لحائز جائزة نوبل للآداب أورهان باموك Orhan Pamuk في 2009/1/17 موقف متميز، على الرغم من أنه لم يسمّ غزة بالاسم، إلا أنه قال إن ما يسمى صدام الحضارات ليس سوى المزيد من قتل الغرب للمسلمين. وقال باموك في حوار مع صحفيي يوميوري شيمبون Yomiuri Shimbun اليابانية أنه لا يوجد صدام بين الحضارات، بل فقط قتل للناس، قائلاً إن أوروبا لا تشكل نموذجاً ثقافياً[43].

وفي إسطنبول نظم "منتدى الشباب" في 2009/1/25 مزاداً علنياً نادراً وعميقاً في دلالاته تحت عنوان "مزاد مدّ يديك إلى فلسطين". ومن اللافت للنظر مشاركة عدد كبير من المشهورين من السياسيين والفنانين والرياضيين بطرح بعض ما يملكون في المزاد. وكان رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان الذي ندد بشدة بالعدوان الإسرائيلي على غزة في طليعة اهتمام الجمهور، حيث طرح قلمه الخاص فبيع بألف دولار، فيما بيعت مزهرية يملكها رئيس البرلمان السابق بولنت ارينتش Bülent Arınç بما يقارب 1,700 دولار، وقد شارك ارينتش شخصياً في حضور المزاد. وشارك في المزاد نواب ووزراء وفنانون ولاعبون من الفرق الرياضية الرئيسية بمقتنيات شخصية، مثل المفكّرات والقمصان الرياضية والجزادين وبذلات الثياب والخواتم والعقود[44].

وذكر بولنت ارينتش أنه نظم حملة تبرع داخل البرلمان وجمع من كتلة نواب حزب العدالة والتنمية أكثر من 300 ألف دولار[45].

وفي مناسبة لاحقة أخرى قال أردوغان: "نحن دائماً صوت الحشود التي لا صوت لها وهوية من لا هوية لهم. هذه هي تربيتنا التي أتتنا من العثمانيين. يوجد ما يتوجب أن نقوم به، ولا يمكن الصعود إلى المنصة والتفرج من هناك على ما يجري"[46].

كما عقدت مجموعة من مؤسسات المجتمع المدني التركية، بالتعاون مع مؤسسات إسلامية وعربية أخرى مؤتمراً لنصرة الشعب الفلسطيني في 22-2009/5/23 في إسطنبول. وقد ترأس المؤتمر الرئيس السوداني الأسبق سوار الذهب، وقد خرج المؤتمرون، الذين عكفوا، في ورشات العمل التي تخللها المؤتمر، على مناقشة كيفية نصرة الشعب الفلسطيني وفكّ الحصار عن قطاع غزة، بتوصيات تتعلق بتنمية فلسطين، ودعم النساء والشباب فيها، والتأكيد على ضرورة فكّ الحصار عن قطاع غزة وفتح المعابر، والتوعية بالجانب القانوني للحقوق الفلسطينية، وضرورة التعاون والتضامن وتفعيل المقاطعة الاقتصادية.

كما صدر عن المؤتمر عدة وثائق أهمها "الوثيقة الإسلامية لفلسطين"، التي أكدت أن فلسطين قضية المسلمين الأولى وأنها أرض إسلامية، مشيراً إلى المخاطر التي تتعرض لها على يد المحتل الإسرائيلي. وأكدت الوثيقة حقّ اللاجئين والمهجرين في العودة والتعويض وحقّ الشعب الفلسطيني في المقاومة. كما وجه المؤتمر نداء لمسيحيي العالم من أجل فلسطين تقدم به الأب منويل مسلّم،

راعي الطائفة الإنجيلية بالقدس، ذكّرهم فيه بمسؤوليتهم نحو ما وقع ويقع بفلسطين وبتضاؤل عدد المسيحيين فيها بسبب اضطهاد المحتل، محذراً من عمليات تخريب للكنائس[47].

وفي إطار الدعم التركي المستمر للقضية الفلسطينية، عقدت الهيئة العربية الدولية لإعمار غزة مؤتمرها الدولي الأول في 17-2009/6/18 في إسطنبول، وقد قررت خلاله تنفيذ 465 مشروعاً صحياً وإسكانياً وتعليمياً في قطاع غزة. وقدرت الهيئة الميزانية المتوقعة لتنفيذ هذه المشاريع بحوالي 500 مليون دولار، وقد تعهد رجال الأعمال الأتراك بتقديم 350 مليون دولار لإعادة إعمار قطاع غزة. وقال أرول يارار Erol Yarar رئيس التحالف الفلسطيني بتركيا والرئيس الأسبق لجمعية موصياد MÜSİAD لرجال الأعمال المستقلين، الذي شارك في عقد المؤتمر: إن المجتمع المدني والأهلي بالعالم الإسلامي اتفق على عملية إعادة البناء والإعمار بغزة؛ لأنها مسألة إنسانية، وإن تركيا مع الحقوق الفلسطينية؛ حتى قبل ظهور الجمهورية فيها، مؤكداً أن جهود الإعمار ستستمر حتى إحقاق الحق الفلسطيني[48].

زيارة محمود عباس:

أجمعت وسائل الإعلام التركية على أن محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية، الذي قام بزيارة إلى تركيا في 2009/2/7، قد تلقى نصائح بالجملة من القادة الأتراك بشأن التعامل مع المرحلة المقبلة. وفي لقائه مع الرئيس التركي عبد الله غول، قال غول إن القضية الفلسطينية تحتاج إلى تشكيل حكومة فلسطينية موحدة. وأضاف غول إن تركيا لا تتدخل في الشؤون الداخلية لفلسطين، لكن القضية الفلسطينية تحتاج لتوحيد الجهود وهذه أولوية تركية[49].

وكان اللقاء الأطول لعباس مع رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان حيث استمر اللقاء ثلاث ساعات. ومما نتج عن اللقاء تشديد أردوغان على عباس ضرورة توحيد الصف الفلسطيني، فيما طلب عباس من تركيا استمرار جهودها للوساطة مع كل الأطراف.

وفي الاتجاه نفسه قال رئيس البرلمان التركي كوكسال توبتان Köksal Toptan في أثناء لقائه مع عباس إنه من الضروري إشراك حماس في العملية السلمية. وقال توبتان إن على الفلسطينيين أن يحلوا أولاً مشاكلهم، ومن ثم إشراك حماس في المسؤولية السياسية، وإلا فإن العناصر المتطرفة في المنطقة هي التي ستنتصر[50].

وعلى الرغم من أن عباس طلب من تركيا التدخل، إلا أن جريدة زمان ذكرت في تحليل لها أن محمود عباس أعطى انطباعاً أنه لا يمكن قبول أية وساطة سوى الوساطة المصرية، من أجل الوصول إلى حل بنّاء لمأساة غزة[51]. وفي لقاء على عشاء مع صحفيين أتراك وأجانب قال عباس إن تصريحه قبل أيام، عن رفضه لتدخل أي طرف غير عربي في القضايا العربية، لم يكن المقصود منه تركيا "ولا تسألوني عمن أقصد"[52].

ولم تخل زيارة عباس من تجمع احتجاجي عليها من جانب العشرات من جمعيات أوزغور در Özgür-Der الذين تجمعوا على مقربة من بلدية إسطنبول. وقال أحد قادة الجمعية رضوان كايا Rıdvan Kaya إن حركة حماس هي الممثل الأصلي للشعب الفلسطيني، وكان يجب دعوة إسماعيل هنية إلى هنا. وأضاف إن محمود عباس بعد انتهاء ولايته لم تعد له صفة شرعية، وهو شريك لـ"إسرائيل" في جرائم حربها، وبالتالي لا يمكن أن يمثّل الشعب الفلسطيني[53]. وكذلك تظاهر عشرات من أعضاء منتدى فلسطين في ميدان الهلال الأحمر في العاصمة أنقرة وأطلقوا هتافات معادية لمحمود عباس[54].

3. الحراك السياسي التركي:

تحركت الدبلوماسية التركية منذ اللحظة الأولى لوقف العدوان على غزة. وبعد جولة أردوغان على العواصم العربية، كان تحرك مستشار رئيس الحكومة التركية أحمد داود أوغلو الذي وصل إلى القاهرة في 2009/1/10 واجتمع بالرئيس المصري حسني مبارك. وذكرت مصادر تركية أن الرئيس المصري مقتنع بأن أية خطة لوقف النار لا يمكن أن تنجح من دون مشاركة تركيا[55]. وقد أجرى الرئيس عبد الله غول اتصالاً بالرئيس الأمريكي جورج بوش طالباً منه التدخل لوقف فوري لإطلاق النار في غزة. وكان جهد تركيا واضحاً في محاولة عدم السماح بشطب حركة حماس من المعادلة الفلسطينية والإقليمية. وفي لقاء مع مجموعة من الصحفيين في 2009/1/20 شرح مستشار رئيس الحكومة أحمد داود أوغلو الموقف التركي من التطورات في غزة على الشكل التالي[56]:

- تدخلت الدبلوماسية التركية منذ اللحظة الأولى للعدوان على غزة، ولعبت دوراً مهماً في وقف إطلاق النار. وقد تواصلت تركيا مع جميع الأطراف المعنية، من دون استثناء، من مصر إلى محمود عباس وحماس و"إسرائيل" وفرنسا ودول أوروبية أخرى.
- بخلاف كل الدول الأخرى كانت تركيا الدولة الوحيدة التي استطاعت التواصل مع حماس، وبالتالي إعلان وقف مزدوج للنار. ولم تستبعد تركيا عن هذه المبادرة اللاعبين الآخرين مثل مصر وفرنسا. بل إن مصر بالذات أرادت من تركيا أن تتولى ضمانة حماس في مفاوضات وقف النار. وفي النهاية كانت تركيا هي البلد الذي ضمن قبول حماس بوقف النار.
- معنى ذلك أن تركيا كانت البلد الذي ملأ الفراغ، وتولت بصمت وبعمق توضيح مواقف سورية وحماس. ولم تكن تركيا مجرد ساعي بريد بل كانت عاملاً في إقناع حماس ببعض المواقف.
- تعتقد تركيا أن حماس يجب أن تشارك في العملية السياسية. وهذا مرتبط باستمرار وقف النار ثم بالمصالحة بين محمود عباس وحماس؛ وتركيا تعمل على هذا الخط وهي على مسافة واحدة من عباس وحماس.

- لم تقطع تركيا تواصلها مع "إسرائيل". وبالرغم من مواقف أردوغان الحادة، فإن سفير تركيا في "إسرائيل" فريدون سينيرلي أوغلو Feridun Sinirlioglu التقى بإيهود أولمرت وبمسؤولين إسرائيليين آخرين.
- في هذا الوقت استمر التواصل التركي مع إيران، وأسهمت المواقف التركية وتحركاتها في إبقاء إيران خلف الستار وصامتة بنسبة ما.

انطلاقاً من هذه الصورة لا يوافق المسؤولون الأتراك أنهم منحازون إلى حماس، وأنهم يبتعدون عن الغرب، ويرون أن هذا الادعاء خاطئ جداً والعلاقات مع الغرب ليست موضع مناقشة وهي ثابتة، كما يقول أحمد داود أوغلو.

ورفض وزير الخارجية علي باباجان Ali Babacan التهمة التي تقول بأن تركيا تؤيد كل ما تقوم به حركة حماس وقال "إنه انطباع غير صحيح"، مضيفاً أن أنقرة توجه النصح دائماً لحماس من أن الحل لا يكون بالسلاح، ويجب البحث عن حلّ في الأطر الديموقراطية. لكن البحث عن حلّ في فلسطين لا يمكن من دون دعم حماس له. ودعا إلى حكومة وحدة وطنية فلسطينية، لأن اعتبار محمود عباس هو المخاطب فقط لن يؤدي إلى نتيجة.

وعن الدور المصري، قال الوزير التركي إن تركيا لا تنافس أحداً بل قلنا للمصريين: "ليس المهم من يكون في الواجهة المهم وقف إطلاق النار فلنعمل سوية. وأجابه المصريون: حسناً. وتلا ذلك وصول وفد حماس إلى القاهرة. وكان هذا أمراً مهماً وقد نجحنا في تحفيز إعادة التواصل بين مصر وحماس"[57].

وفي منتصف تموز/ يوليو 2009 استقبل الرئيس التركي عبد الله غول رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس في زيارة ثانية. وكان اللافت في أثناء الزيارة موقف الرئيس التركي الذي يتناقض مع ما أعلنه مسؤول السياسة الخارجية العليا في الاتحاد الأوروبي من أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل في مدة محددة فإن الاتحاد الأوروبي، سيسعى لاستصدار قرار من مجلس الأمن يعلن فيه إقامة دولة فلسطينية مستقلة. وكان تعليق غول على هذا الموقف هو معارضة أي قرار من هذا النوع إن لم يكن نتيجة توافق بين اللاعبين الأساسيين، بل سيكون القرار مضراً من دون هذا الاتفاق[58]. ورأت جريدة ميلّيت أن موقف غول أثار ارتياح "إسرائيل"، وعلى الأرجح انزعاج عباس من دون أن يخرج ذلك إلى العلن.

فموقف غول يترك فكرة إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة إلى مرحلة لا ترى نهايتها. وهذا يتناقض ولو جزئياً مع موقف تركيا من القضية القبرصية مثلاً؛ إذ ترى أنقرة أنه إذا لم يتم التوصل إلى حلّ في الجزيرة حتى نهاية 2009 فلكل طرف أن يختار الطريق الذي يلائمه. فلماذا تحلل أنقرة في قبرص ما تحرمه في فلسطين؟.

ورأت الجريدة أن موقف غول ليس بعيداً عن نماذج أخرى في المنطقة، ومنها أن إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة قد يشكل مثالاً لإعلان دولة كردية مستقلة. وربما تكون أنقرة قلقة من احتمال توافق الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في مجلس الأمن لإعلان دولة كردية مستقلة. لذلك فإن موقف غول من إعلان دولة فلسطينية مستقلة، قد يكون هدفه التحذير من استنساخ الإعلان في مكان آخر وبالتحديد شمال العراق[59].

وفي 2009/10/11 قال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو إن على "إسرائيل" أن تنهي حالاً مأساة غزة، كما أن عليها أن تحترم الحساسيات الدينية والثقافية لبعض المناطق مثل المسجد الأقصى والقدس الشرقية. وعندها فقط يمكن لتركيا أن تكون حاضرة للوساطة بين سورية و"إسرائيل". وقال داود أوغلو إنه "إذا احترمت هذه الحساسيات فإن احتمال السلام يصبح ممكناً"[60].

خلاصات:

يمكن تلخيص الموقف التركي من العلاقات مع "إسرائيل" خلال سنة 2009 كما يلي:

كان المسار العام سلبياً للغاية، وشهدت العلاقات تراجعاً كبيراً على الصعيد الرسمي كما على الصعيد الشعبي. وكان موقف تركيا من القضية الفلسطينية مبدئياً. وقد جمع بين اعتبارات عدم احترام الدولة التركية من جانب إيهود أولمرت عشية العدوان على غزة، وبين الموقف المبدئي والأخلاقي والإنساني، فضلاً عن الميول الإسلامية لحزب العدالة والتنمية. وكان موقف تركيا هذا ثابتاً على امتداد سنة 2009، ومرد الثبات أن تركيا ربطت تغيير موقفها من "إسرائيل" بتغير الوضع وتحسنه في غزة، وهو الأمر الذي لم يحصل. كذلك ربطت تركيا استئناف وساطتها بين "إسرائيل" وكل من سورية والفلسطينيين أيضاً بـ"معيار غزة". وترى تركيا أن الكرة في الملعب الإسرائيلي ولو أن هناك حكومة إسرائيلية متجاوبة مع عملية السلام لما ظهر هذا التوتر.

إن التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية لن يؤثر كثيراً على الدور الوسيط لتركيا في عملية السلام، إذ تبقى تركيا حتى الآن الدولة الوحيدة المؤهلة للقيام بهذا الدور، عندما توافق "إسرائيل" على استئنافه. كما أن سورية لم تقبل بغير الدور التركي الوسيط، وقد رفضت دمشق أية محاولة لدور فرنسي وسيط بديل للدور التركي.

وعلى الرغم من محاولات "إسرائيل" الإيحاء بأن الدور التركي الوسيط لم يعد قائماً، فهذا يأتي من باب الضغوط على تركيا. إذ إن "إسرائيل" مستعدة للتجاوب مع أية محاولة لتحسين العلاقات مع تركيا، لأنها لا تريد التفريط بصداقة دولة مسلمة كبيرة مثل تركيا، كانت أول دولة مسلمة تعترف بالدولة العبرية سنة 1949.

كذلك الأمر بالنسبة لعلاقات تركيا بالغرب، حيث إن الغرب لن يفرط بتركيا، بوصفها حليفة للغرب وعلمانية، وعضواً في شمال الأطلسي، فضلاً عن أنها جزء من الأمن والاستقرار في البلقان والقوقاز، وعامل مكافئ لخطوط الطاقة البديلة الممدودة من روسيا إلى أوروبا.

ويبدو الموقف التركي أقوى من قبل، ولا سيّما مع تراجع الحاجة لـ"إسرائيل" واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، ولا سيّما بعد توقيع الاتفاق التاريخي بين تركيا وأرمينيا. إذ بقدر ما تحلّ تركيا مشكلاتها مع محيطها، بقدر ما تتراجع حاجتها إلى علاقات قوية مع "إسرائيل".

لكن تركيا بدورها لا يمكن أن تمضي بعيداً في توترها مع "إسرائيل"، نظراً لكون تركيا عضواً في حلف شمال الأطلسي وتتطلع للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وعليها أن تأخذ في الاعتبار هذا العامل لدى البحث في العلاقات مع "إسرائيل".

ومن جهة أخرى فإن تركيا لا يمكن أن تتخلى عن مواقفها الثابتة من القضية الفلسطينية، إذ إنها قائمة في الوجدان التركي. وقد حظي الدفاع عن غزة والتنديد بالعدوان الإسرائيلي بتأييد كل فئات المجتمع التركي والمدنيين والعسكريين على حدّ سواء. وفي الوقت نفسه فإن القضية الفلسطينية هي جواز عبور إلى كل العالم العربي والإسلامي. لكن تركيا أيضاً مع الحلول التي تقتضي الاعتراف بـ"إسرائيل"، وتخلي حماس عن إطلاق الصواريخ على "إسرائيل". كما أن تركيا ترى أن الوحدة الفلسطينية شرط لحلّ القضية الفلسطينية، والخروج من مأزق الشرذمة. وتؤكد تركيا على أنه من دون حماس لا حلّ للمشكلة الفلسطينية، خصوصاً أنها منتخبة بطريقة ديموقراطية.

ثالثاً: إيران

لم تتردد إيران في إعلان تأييدها لحركة حماس، وفي التنديد بالعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وذهب المسؤولون فيها إلى مناشدة منظمة المؤتمر الإسلامي "القيام بواجبها التاريخي في مواجهة إسرائيل"[61]. فأجرى الرئيس أحمدي نجاد، على سبيل المثال اتصالاً مع نظيره السنغالي عبد الله واد Abdoulaye Wade رئيس القمة الـ 11 لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أكّد خلاله "ضرورة أن تبذل الدول الإسلامية مساعيها لوقف جرائم الصهاينة المحتلين ضدّ الفلسطينيين العزّل". ودعا نجاد الدول الإسلامية إلى "اعتماد كل الوسائل لمساعدة الشعب الفلسطيني"[62].

لم تقتصر المواقف الإيرانية على التنديد بالعدوان الإسرائيلي، بل ذهبت أيضاً إلى انتقاد المواقف العربية، وخصوصاً مصر، التي لم تسمح بفتح معبر رفح لتمرير المساعدات إلى قطاع غزة. وقد أسهمت هذه المواقف الإيرانية من مصر في توتر العلاقات بين البلدين طوال سنة 2009، خصوصاً بعد توقف الحرب، وإعلان إيران استعدادها للإسهام في إعادة إعمار القطاع الفلسطيني، وإرسال المساعدات إليه. وقد تراوحت مواقف إيران من هذه الحرب بين إعلان التأييد لحركة المقاومة حماس

والتنديد بالعدوان الإسرائيلي من جهة، وبين توجيه الاتهام واللوم إلى الدول العربية الإسلامية من جهة ثانية، بالإضافة إلى حركة دبلوماسية واسعة من خلال مبعوثين إلى دول العالم "لبحث الوضع في غزة"[63].

فقد طالب وزير الخارجية منوشهر متكي Manouchehr Mottaki "بوقف فوري للهجمات الإسرائيلية على غزة، وإنهاء الحصار المفروض على القطاع الفلسطيني"، وانتقد متكي الدول العربية ومجلس الأمن ومنظمة المؤتمر الإسلامي "لتقاعسها"[64]. كما أعلنت إيران استعدادها لاستقبال الجرحى الفلسطينيين في المستشفيات الإيرانية، بالإضافة إلى إقامة مستشفى ميداني على الأراضي المصرية المحاذية للقطاع. وبحسب المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية حسن قشقاوي Hassan Qashqavi، فإن منوشهر متكي وزير الخارجية أرسل إلى نظيره المصري أحمد أبو الغيط يبلغه استعداد إيران لتشييد مستشفى ميداني على الأراضي المصرية، ودعاه إلى "إبداء التعاون اللازم في هذا المجال"[65]، وأعلن متكي في اليوم التالي "أن طهران تنتظر ردّ القاهرة" إزاء هذا الموضوع[66]. ومن الواضح أن دعوة مماثلة لم تعبّر عن رغبة إيران في مدّ يد المساعدة فقط، بل وربما أرادت إحراج مصر التي كان من المتوقع أن ترفض مثل هذه المشاركة الإيرانية في "دعم الفلسطينيين"، في الوقت الذي تشهد العلاقات بين الطرفين توتراً متصاعداً، وفي الوقت الذي لم تكن فيه الحكومة المصرية أصلاً مؤيدة لحركة حماس ولا لسيطرتها على غزة، ولا للحرب التي تخوضها دفاعاً عن القطاع. وما يؤكّد "إحراج" مصر في هذا المجال، هو التصريحات الإيرانية اللاحقة، كما فعل المتحدث باسم الخارجية الإيرانية الذي "حثّ الحكومة المصرية على العمل بمسؤوليتها وواجبها الإسلامي والإنساني... وفتح معبر رفح... نظراً لعمق المأساة والظروف التي يعاني منها الشعب الفلسطيني المضطهد، والماضي العريق لقادة هذا البلد من أمثال عبد الناصر وحسن البنّا، وكذلك الموقع الجغرافي ووجود معبر رفح"[67].

ذهبت المواقف الإيرانية في تأييد حركة حماس إلى حدّ التأكيد على "استحالة هزيمتها أو القضاء عليها" في هذه الحرب. وقال وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي في مكالمات هاتفية مع بعض نظرائه الأوروبيين "الاجتياح البري للكيان الصهيوني خطأ استراتيجي ومحو حماس هو هدف غير قابل للتحقق، حيث إن حماس تمثل دولة ولا يمكن محو دولة"[68].

كما توقّع، في الإطار نفسه، رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني Ali Larijani أن "يتحول قطاع غزة إلى مقبرة للإسرائيليين"[69]، "وأن ممارسات الإسرائيليين في القطاع أسوأ من النازية"[70]. وعلى المستوى الدبلوماسي بحث وزير الخارجية منوشهر متكي مع نظرائه في سورية وليبيا وتركيا واليابان الوضع في قطاع غزة، مشدِّداً على ضرورة الوقف الفوري للعمليات العسكرية[71]. كما بحث رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني مع الرئيس السوري بشار الأسد

"الأوضاع الخطيرة"، في حين أجرى سعيد جليلي Saeed Jalili، أمين عام مجلس الأمن القومي الإيراني، محادثات مع المسؤولين الأتراك حول تطورات الوضع في قطاع غزة. كما قال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية "أن بلاده أرسلت 22 مبعوثاً إلى العالم لبحث الأوضاع في القطاع"[72].

ولم يتردد الرئيس الإيراني في مقابلة له مع قناة الجزيرة في الأسبوع الأخير من الحرب، في دعوة القادة العرب إلى:

> تحمّل مسؤولياتهم التاريخية من منطلقات إنسانية وقومية وإسلامية، لأن أبناء غزة بشر أولاً، وعرب ثانياً، ومسلمون ثالثاً. ومن اعتبار الواجب الأول للجامعة العربية هو الدفاع عن الشعب الفلسطيني، والعمل على ضوء الأهداف التي أسست من أجلها... وأن من المتوقع من هؤلاء القادة قطع كافة أشكال العلاقات مع الكيان الصهيوني... وتهديد كل من يدعم هذا الكيان سياسياً وعسكرياً بقطع العلاقات.

وألمح نجاد إلى رفضه الدعوات التي تركز على "الخطر الإيراني" في المنطقة، مخاطباً الزعماء العرب بقوله "لماذا تشغلون أنفسكم في بعض الأحيان بنزاعات لا وجود لها مع بعض شعوب المنطقة، وتولونها أرجحية على قضية المواجهة مع الكيان الصهيوني؟"، وأضاف نجاد "إنه لأمر محزن جداً أن تقف حكومات 22 دولة عربية لتتفرج على شرذمة فاسدة من الصهاينة المجرمين..."[73].

بعد توقف الحرب على غزة، وعجز "إسرائيل" عن تحقيق الانتصار المتوقع بالقضاء على حركة حماس، أثيرت ضجة دولية لمنع حماس من التزود مجدداً بالسلاح، خاصة وأن الحركة استمرت في إطلاق الصواريخ على المستعمرات والبلدان الإسرائيلية طوال أيام الحرب الـ 22. لذا، تنادت الولايات المتحدة، ودول أوروبية كثيرة؛ لفرض حصار بحري على قطاع غزة لتحقيق ذلك، في الوقت الذي أثيرت فيه أيضاً قضية المشاركة الدولية والعربية والإسلامية في إعادة إعمار قطاع غزة. الموقف الإيراني كان واضحاً لجهة انتقاد المواقف الدولية من جهة، والدفاع عن حقّ الفلسطينيين في الحصول على السلاح من جهة ثانية. فقال وزير الخارجية منوشهر متكي "إن أي حكومة أو شعب لديهم الرغبة في الدفاع عن أنفسهم، من الطبيعي جداً أن يبذلوا قصارى جهدهم للحصول على أسلحة من أي مكان ممكن"، وأن "الذين يكافحون ضدّ الاستعماريين... من حقهم الطبيعي الحصول على أسلحة". وتوجه إلى الأمريكيين قائلاً "أثناء هذا الهجوم الوحشي قدمتم 300 طن من القنابل للنظام الصهيوني، والآن لديكم الوقاحة لكي تخرجوا وتقولوا إن المقاومة لا يجب أن يكون لديها أي أسلحة". وانتقد متكي رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس "المنتهية ولايته" الذي حذّر من إرسال السلاح إلى "من لا شرعية لهم في فلسطين"، داعياً إلى إجراء انتخابات جدية[74].

أما على صعيد المشاركة في إعادة الإعمار، فقد شكلت السلطات الإيرانية لجنة أطلق عليها "اللجنة المركزية لإعادة إعمار قطاع غزة" تعهدت ببناء وتجهيز ألف منزل سكني وعشر مدارس وخمسة مساجد، إضافة إلى إعادة إعمار مستشفى وتجهيزها بالمعدات الطبية، كما تعهدت اللجنة بإعادة إعمار إحدى جامعات غزة وتجهيزها، وبناء 500 وحدة سكنية، بالإضافة إلى تأمين المساعدات إلى جميع عائلات الضحايا والمصابين، وتأمين حاجات أربعة آلاف مصاب[75]. كما تعهد البرلمان الإيراني إعادة إعمار مبنى المجلس التشريعي الفلسطيني، الذي تعرض لتدمير كلي خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة[76].

انتهت الحرب على غزة، لتبدأ سياسة جديدة في كل من "إسرائيل" وإيران، وفي المنطقة عموماً. فقد تسلّم الرئيس الأمريكي مهامه، وبدأ بتوجيه الرسائل إلى العالم الإسلامي للحوار ولحلّ المشاكل العالقة، ومن بينها القضية الفلسطينية. وسادت مع هذه السياسة حالة من التفاؤل في أوساط فلسطينية وعربية عدة، حتى ذهبت بعض التحليلات العربية إلى القول: إن مواجهة التصاعد في النفوذ الإيراني يتحقق بوقف فوري لإطلاق النار[77]. ورأى آخرون أن نجاح أوباما في تحقيق التسوية الفلسطينية – الإسرائيلية وإعلان الدولة الفلسطينية، سيقطع الطريق أمام المشروع الإيراني الذي يتمدد في المنطقة بذريعة دعم المقاومة ضدّ "إسرائيل".

كانت "إسرائيل" بعد الحرب على غزة تستعد لانتخابات جديدة، وكذلك كانت إيران تستعد لانتخابات رئاسية جديدة. لذا، كان على العالم انتظار نتائج هذه الانتخابات في كلا البلدين لمعرفة اتجاه الرياح السياسية المقبلة في المنطقة. لكن التحضير لهذه الانتخابات لم يقطع وتيرة التهديدات المتبادلة بين الطرفين الإسرائيلي والإيراني؛ فقد رأى على سبيل المثال رئيس الهيئة السياسية والأمنية في وزارة الدفاع الإسرائيلية عاموس جلعاد Amos Gilad أن: "دور إيران في المنطقة... حوَّل لبنان إلى تهديد أمني حقيقي على الدولة العبرية... وأن إيران تعمل على خلق ذراع استراتيجية دفاعية طويلة لها يمكن تسميتها "حزبلسطين"، تمتد من لبنان عبر "حزب الله" وحتى غزة عبر "حماس"، وتمتلك ترسانة صاروخية كبيرة ستكون في واجهة الدفاع عن إيران أمام إسرائيل"[78].

في المقابل، وفي محاولة إيرانية لتبيان مدى الالتزام بالقضية الفلسطينية، خصوصاً بعدما ارتفعت بعض الأصوات الفلسطينية والعربية تنتقد حركة حماس وتندد بالتدخل "غير العربي" (الإيراني) في القضية الفلسطينية، عقد في طهران مؤتمر حول دعم قطاع غزة، شنّ في افتتاحه مرشد الثورة علي خامنئي Ali Khamenei ولأول مرة، هجوماً عنيفاً على من سمّاهم "رافعي شعار الواقعية السياسية" في الشرق الأوسط، بمن فيهم الرئيس الراحل ياسر عرفات. وشكك خامنئي في مقولة أن "قضية فلسطين هي قضية عربية"، ورفض الرهان على وجود

تغيير في السياسة الأمريكية، معتبراً أن الرئيس أوباما يسلك "المسار الخائب ذاته لسلفه جورج بوش" بتأييده غير المشروط لـ"إسرائيل"، التي وصفها بأنها "ورم خبيث"[79]. ورأى خامنئي أن "الصمود والمقاومة هما السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين... وأن من الخطأ التفكير في قبول بلد اسمه إسرائيل عمره 60 سنة. والخطأ الآخر هو القول إن الطريقة الوحيدة لإنقاذ الفلسطينيين هي التفاوض"، وهاجم خامنئي السلطة الفلسطينية التي "ظلّت تنتهك وتداس تحت أقدام الصهاينة مرات ومرات"، وشدّد مرشد الثورة على أن "قضية فلسطين هي أهم قضية ملحة في العالم الإسلامي... وأن ملحمة مقاومة حركة حماس... هي أكبر نقطة مشرقة خلال السنوات المئة الأخيرة من تاريخ فلسطين"[80].

تزامن مؤتمر دعم غزة ومواقف مرشد الثورة من فلسطين ومن انتقاد "الواقعية السياسية" مع تحذيرات أطلقها قائد الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري أكّد فيها أن "بلاده تملك صواريخ يصل مداها إلى ألفي كيلومتر، وتطاول كل إسرائيل بما في ذلك منشآتها النووية"[81].

أسفرت الانتخابات الإسرائيلية عن عودة الليكود بزعامة نتنياهو إلى رئاسة الحكومة، وبدأت بعد ذلك رحلات المبعوث الأمريكي جورج ميتشل إلى الشرق الأوسط لبحث آفاق التسوية: من استئناف التفاوض، إلى حلّ الدولتين، إلى وقف بناء المستعمرات. وساد اعتقاد فلسطيني بقدرة الإدارة الأمريكية الجديدة، استناداً إلى مواقف أوباما وتصريحاته، على إحداث اختراق في عملية التسوية المتجمدة، لكن سرعان ما تبدد هذا التفاؤل بعد "عجز" الرئيس الأمريكي عن "إقناع" نتنياهو، أو إرغامه، على وقف بناء المستعمرات لجعل استئناف التفاوض ممكناً من جهة، ولحشد التأييد العربي لهذه العملية من جهة ثانية، ولعزل إيران عن قضية فلسطين ودعم المقاومة من جهة ثالثة.

كانت إيران بدورها تستعد لانتخاباتها الرئاسية التي ستجري في شهر حزيران/ يونيو 2009. وكانت أنظار العالم تتجه لمعرفة ما تبقى من شعبية أحمدي نجاد، وهل سيعود مجدداً إلى سدة الرئاسة في مواجهة منافس إصلاحي قوي هو مير حسين موسوي Mir-Hossein Mousavi؟.

كان الغرب (الولايات المتحدة وأوروبا) يتمنى ويريد فوز موسوي الإصلاحي؛ لأنه يعرف مواقف أحمد نجاد وسياساته من "إسرائيل" ومن التسوية، وتشدده تجاه برنامج بلاده النووي، في حين كانت مواقف موسوي أكثر اعتدالاً تجاه هذه القضايا، كما عبّر عن ذلك في أثناء حملته الانتخابية. كما أن الإدارة الأمريكية الجديدة، التي دعا فيها أوباما إلى مدّ اليد للحوار والدبلوماسية، تحتاج في إيران إلى يد مماثلة، ليست بالطبع يد أحمدي نجاد.

أحبط فوز أحمدي نجاد رهانات العرب وكثير من دول العالم على التغيير في إيران، لكن "أزمة الانتخابات"، التي اندلعت بعد ذلك وانتقلت إلى الشارع، فتحت مجدداً أبواب الضغوط على النظام، والرهان على تغيير سياساته من برنامجه النووي ومن عملية التسوية في المنطقة. وكان من اللافت

للنظر أن يرفع المتظاهرون المؤيدون لمير حسين موسوي وللحركة الإصلاحية في إيران شعارات تتعارض مع ثوابت النظام الإيراني ومع سياساته تجاه قضية فلسطين. وقد قالت زوجة موسوي في مقابلة تلفزيونية مع قناة العربية في 2009/6/11:

> إن سياسة أحمدي نجاد الخارجية هي سياسة الفوضى وذهب ليصادق أميركا اللاتينية، في حين أن مير حسين موسوي عندما سيتابع السياسة الخارجية سيطرح مسألة السلام والسلام العالمي وسيتابع المصالح الوطنية الإيرانية. يعني مصالحنا ستكون لها الأولوية، لا نريد أن ندخل في تحالفات مكلفة... بالنسبة لفلسطين شعار فلسطين هو شعارنا كذلك. لكننا سنسعى أن نكون أصدقاء لكل العالم، وخاصة في المنطقة ومن حولنا ومن الدول المجاورة لنا. لا نريد أن يكون هناك تشنج وإرهاب... ونريد أن نحافظ على ثرواتنا من أجل شعبنا[82].

كانت شعارات المتظاهرين عندما نزلوا إلى الشارع في يوم عاشوراء أكثر وضوحاً من تلميحات زوجة موسوي تجاه "أولوية المصالح الوطنية"، فقد أعلن هؤلاء التبرؤ من عبء المقاومة في لبنان وفلسطين قائلين "لا غزة ولا لبنان... نستشهد من أجل إيران"[83].

شهدت المدونات الإلكترونية لأنصار المعارضة الإيرانية ملصقات وُضِعت فيها بدلاً عن خريطة فلسطين يدٌ ترفع شارة النصر وشريطاً أخضر، وظهرت دعوات ليكون شعار "الموت للديكتاتور"، أقوى من شعار "الموت لأمريكا"، وجاءت دعوات أخرى لاتخاذ شعار "لا شرقية ولا غربية جمهورية إيرانية" بدل الشعار السابق "جمهورية إسلامية"، واقترحت مدونة أخرى استبدال صور الشهداء والأطفال الفلسطينيين التي كانت ترفع في المناسبة نفسها ووضع صور مير حسين موسوي وخاتمي وكروبي. وشنّ نشطاء في حركة موسوي الخضراء هجوماً إلكترونياً على حماس، وعلى مصدر الأموال التي تحصل عليها الحركة الفلسطينية[84].

ترافقت شعارات المتظاهرين الإصلاحيين مع شائعات سرت بقوة في الشارع الإيراني، وتناقلتها وسائل إعلام عربية، حول مشاركة مقاتلين من حماس وحزب الله في قمع المتظاهرين في شوارع طهران؛ بحيث تمّ الربط بين حركة احتجاج المعارضة على الانتخابات الرئاسية وعلى النظام في إيران، وبين رفضها استمرار دعم هذا النظام لحركتي حماس وحزب الله. مما دفع أوساط عدة إلى طرح التساؤلات حول التأثر السلبي لما يجري في الداخل الإيراني على حركتي المقاومة في لبنان وفلسطين. فتساءلت حركة فتح على سبيل المثال، عن تأثير ما يجري على فلسطين، على "حركة حماس، وعن موقعها من هذه التغييرات، وما إذا كان مشعل سيخسر الرهان ويلهث للاعتراف بإسرائيل"[85].

لم تتوقف حركة احتجاج المعارضة الإيرانية منذ الانتخابات الرئاسية في حزيران/ يونيو 2009 إلى نهاية السنة، فاغتنمت كل الفرص المتاحة للنزول إلى الشارع والتظاهر. لكن الرهان على تغيير سياسات النظام تجاه برنامجه النووي أو تجاه القضية الفلسطينية وعملية التسوية وحركات المقاومة لم يستمر على ما هو عليه؛ فقد استعاد الرئيس الإيراني وأركان النظام الآخرين مجدداً لغة التهديد والوعيد تجاه أي عدوان إسرائيلي، بالتزامن مع مناورات عسكرية عدة نفذها الحرس الثوري والجيش الإيراني. كما عادت "إسرائيل" مجدداً إلى التلويح بالحرب ضدّ إيران وضدّ منشآتها النووية، وإلى الربط في أي حرب بين إيران وبين حماس وحزب الله. فقد ذكرت جريدة هآرتس "أن إسرائيل تتوقع فشل المحادثات بين إيران والغرب حول التسلح النووي، وهي تستعد لتوجيه ضربة قاسية لحزب الله في جنوب لبنان أو حماس في قطاع غزة أو كليهما معاً. وفسر مراقبون إسرائيليون هذه التقديرات... من خلال التدريبات العسكرية ونوعية الأسلحة التي تمّ تطويرها في الصناعات العسكرية الإسرائيلية"[86].

وذكرت جريدة جيروزاليم بوست The Jerusalem Post أن:

> مديرية عمليات قوات الدفاع الإسرائيلي أنشأت إدارة جديدة مسؤولة عن تنسيق الجهود المبذولة لحماية قواعد جيش الدفاع الإسرائيلي... لأن حماس وحزب الله وسورية وإيران لديهم القدرة على إطلاق صواريخ على قواعدنا... بعدما تعمد حزب الله سنة 2006 وحماس في عملية الرصاص المسكوب في قطاع غزة، استهداف قواعد جيش الدفاع الإسرائيلي في الشمال والجنوب[87].

وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي في الإطار نفسه أن "إسرائيل تملك حقّ الدفاع عن نفسها... مشيراً إلى ثلاثة تحديات رئيسية في المجال الأمني تواجه إسرائيل وهي: ضرورة منع إيران من حيازة السلاح النووي، وإزالة التهديد الصاروخي من جانبي الحدود الشمالية من جهة حزب الله، والجنوبية من جهة حركة حماس"[88]. ولم تكفّ "إسرائيل" عن تسريب معلومات إلى مصادر غربية عدة، عن نيتها ضرب إيران، بعدما أيقنت أن الولايات المتحدة غير مستعدة لدخول مواجهة عسكرية مع إيران. ولذا تريد "إسرائيل" من خلال العمل العسكري "قص جوانح [أجنحة] إيران في كل من لبنان وغزة"[89].

لم تتبدل مواقف وتصريحات قادة إيران السياسيين والعسكريين من "إسرائيل" ومن تأييد حركات المقاومة ضدها، على الرغم من "أزمة الانتخابات الرئاسية" وما رافقها من حركة احتجاج وتظاهرات. لا بل أجرت إيران مناورات عسكرية، واختبرت صواريخ حربية في 2009/10/2 وفي 2009/11/22 في إطار استعدادها "لمواجهة أي حرب محتملة عليها"، على قاعدة "التصعيد مقابل

التصعيد". ومن هذه الصواريخ صاروخ "سجيل" الذي يبلغ مداه ألفي كيلومتر، والذي يضع "إسرائيل" والقواعد الأمريكية في الخليج في مدى هذا الصاروخ[90]. ولم تتراجع إيران في الوقت نفسه عن مواصلة برنامجها النووي، وعن اختبار المزيد من الأجهزة المتطورة لتسريع تخصيب اليورانيوم، بعدما رفضت الشروط الغربية للتخصيب خارج الأراضي الإيرانية. أي أن نفوذ إيران الإقليمي لم يتراجع، كما افترضت بعض التحليلات، بعد أزمة الانتخابات الرئاسية. ولم تتراجع إيران في الوقت نفسه عن ثوابت سياستها الخارجية. لا بل ذهبت جريدة نيويورك تايمز The New York Times، على سبيل المثال، إلى الربط بين تعثر عملية التسوية وفشل الإدارة الأمريكية في إرغام نتنياهو على وقف بناء المستعمرات وبين تقدم نفوذ إيران وتلاشي نفوذ القاهرة والرياض، فذكرت الجريدة الأمريكية عن مسؤولين سعوديين ومصريين قولهم "إنه بالرغم من انشغال إيران بأزمة سياسية داخلية، ومعاناة سورية من أزمة اقتصادية دائمة، أدى دعم هاتين الدولتين المستمر لحماس وحزب الله إلى حفاظهما على نفوذ كبير في قضايا مثل تشكيل الحكومة اللبنانية وجهود المصالحة الفلسطينية". وذكرت الجريدة أن السعودية ومصر "تواجهان منافسة من إيران ومواجهة من دول عربية أصغر منها بكثير، واستهزاء من سورية وتحدياً من مجموعات غير حكومية مؤثرة مثل حزب الله وحماس"[91].

ولا شك أن ما ذهبت إليه نيويورك تايمز يستند إلى "عجز" مصر عن تحقيق المصالحة بين حركتي فتح وحماس، خاصة بعدما رفضت حماس بعض الشروط التي اعتبرتها غير مناسبة لها. الأمر الذي عطل التفاهم وأحرج النظام المصري، وبدت حماس أكثر قدرة على التحكم بمسار المصالحة وبمستقبل الوضع الفلسطيني. ولا شك أيضاً أن مثل هذا الاستنتاج له صلة بالموقع القوي الذي تمتعت به حماس بعد العدوان الإسرائيلي على غزة بين 2008-2009 وجعلها في موقع المسؤول الأول عن قطاع غزة. وتعترف في الوقت نفسه، بعض التقديرات الاستراتيجية الإسرائيلية بفشل التعامل مع حماس، كما فعل معهد ريئوت The Reut Institute لحكومة نتنياهو في تقريره الذي أصدره في حزيران/ يونيو 2009 حول "إعادة تقييم العملية السياسية الإسرائيلية – الفلسطينية" واعتبر فيه أن من المآزق الاستراتيجية هي كيفية التعامل مع حماس التي نجحت في إحكام سيطرتها على غزة، وعلى الفوز باعتراف دولي على الرغم من مساعي "إسرائيل" لفرض مقاطعة دولية عليها. وقد أفرز هذا الوضع أيضاً مآزق منها: استحالة إيجاد بديل لحماس في غزة، في حين سيسمح إطلاق النار لحماس ببناء قدرات عسكرية استراتيجية بفضل الدعم الإيراني، بينما يهدد القتال المستمر بتصعيد لا مفر منه[92].

فاقم جمود عملية التسوية وتعثر المصالحة الفلسطينية – الفلسطينية من تزايد اتهام إيران بالتأثير سلباً على القضية الفلسطينية. فعلى الرغم من إعلان إيران تأييد هذه المصالحة بلسان وزير خارجيتها منوشهر متكي الذي أكد "دعم بلاده وحدة الفصائل الفلسطينية الذي يمثل

استراتيجية دائمة لحكومة الجمهورية الإسلامية"[93]. وكذلك تأييد علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى الإيراني "جهود مصر لتحقيق هذه المصالحة" في أثناء زيارته القاهرة في 2009/12/28؛ فقد اتهمت فتح إيران بأنها "طلبت من حماس تجميد الحوار وتسخين الضفة وغزة. وكذلك طلبت من حزب الله تصعيد الوضع على الحدود مع إسرائيل لشغلها عن ضربة محتملة إلى إيران. وأن أمين عام مجلس الأمن القومي الإيراني سعيد جليلي نصح قيادات حماس وبعض الفصائل الفلسطينية في دمشق بعدم التوقيع على وثيقة الوفاق الوطني". كما وجه محمود عباس الاتهام نفسه إلى إيران بـ"تعطيل المصالحة الفلسطينية"[94].

أسهم تقرير جولدستون، الذي صدر في مطلع تشرين الأول/ أكتوبر 2009 وطلبت السلطة الفلسطينية تأجيل مناقشته، في إطلاق حملة إدانة قاسية لهذه السلطة من أوساط عربية وإسلامية عدة، بحيث اعتبر بعض المحللين أن مثل هذا التأجيل قد تستغله "إسرائيل" لافتعال حدث إقليمي مثل شنّ عدوان على إيران لطمس هذا الملف وإشغال الرأي العام العالمي به عن جرائمها وعن تقرير جولدستون[95]. ومن جهتها اعتبرت جريدة هآرتس "أن إيران وحماس وحزب الله حققوا بواسطة هذا التقرير انتصاراً كبيراً يتجاوز البعدين السياسي والدعائي"[96]. واتهم المعلق السياسي في الجريدة عاموس هارئيل Amos Harel، المحقق الدولي ريتشارد جولدستون بأنه "عمل من دون أن يعلم كعميل لدى طهران، لأن المغزى الفعلي للتقرير أنه دفع اسرائيل نحو الفخ، لأنها ستدير أي حرب مقبلة بيدين وقدمين مغلولتين". وذهبت هآرتس إلى الربط بين تقرير جولدستون وبين المخاوف من تقارير مماثلة إذا شنّت "إسرائيل" حرباً جديدة ستؤدي حتماً إلى خسائر كبيرة في المدنيين في الطرف الآخر، الأمر الذي سيجر المسؤولين الإسرائيليين إلى المحاكم[97].

لقد انتهت سنة 2009 ولم يحصل أي تقدم لا في عملية التسوية، ولا في وقف بناء المستعمرات، ولا حتى في استئناف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. ولم تتم كذلك المصالحة الفلسطينية الفلسطينية، ولم يحصل على صعيد إيران أي تقدم جوهري في المفاوضات مع الغرب حول البرنامج النووي الإيراني؛ تقدم كان من المفترض بحسب البعض أن يؤدي إلى تغيير في سياسات إيران الخارجية. كذلك، لم تبدل نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية والأزمة التي أعقبتها مواقف إيران من "إسرائيل" ومن حركات المقاومة ضدها. وهذا ما عكسته بوضوح زيارة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل إلى طهران في نهاية سنة 2009، عندما أكد أمامه الرئيس الإيراني "استعداد الأمة والحكومة الإيرانيتين تقديم الدعم على الدوام للمقاومة وللشعب المستضعف في فلسطين"[98].

هكذا تكون سنة 2009 قد انتهت وقد تركت للسنة الجديدة الأسئلة والاحتمالات والهواجس نفسها. فـ"إسرائيل" تقرع طبول الحرب وتلوح بها على لبنان وعلى إيران وعلى غزة، وهي

تخطط لحرب تعتقد أنها ستكون على جبهات عدة. ولكن ثمة من يعتقد بأن ما تفعله "إسرائيل" وما تهدد به لا يتجاوز الحرب النفسية، لكن بالمقابل هناك من لا يستبعد سيناريوهات الحرب، خصوصاً على القطاع الفلسطيني في غزة، مع محاولات خنقه وتطويقه بالجدرن الفولاذية من هنا وهناك. الأمر الذي يفرض الاستعداد لسيناريو مماثل على المستويات كافة، حتى لو كانت العودة الإسرائيلية إليه أكثر تعقيداً وصعوبة من السابق. ومثل هذا الاستعداد يفرض حشد التأييد الأوسع عربياً وإسلامياً ضدّ سياسات عزل غزة وضدّ تطويقها وضدّ منعها من الحصول على السلاح... ما يعني تطوير العلاقات الإيرانية الفلسطينة، وليس التضييق عليها أو التراجع عنها.

رابعاً: ماليزيا

سعت الحكومة الماليزية إلى دعم الشعب الفلسطيني خلال سنة 2009، خصوصاً في الضغط على المجتمع الدولي، من خلال دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة للانعقاد في سبيل وقف حملة الرصاص المصبوب، التي قامت بها القوات العسكرية الإسرائيلية ضدّ أبناء قطاع غزة. فقد دفع رئيس الوزراء الماليزي عبد الله أحمد بدوي أكثر من مرة لانعقاد الجمعية العامة، كما طالب بفرض عقوبات على "إسرائيل" وقال "إن انتهاك المعايير الأخلاقية يجب أن يكون من ضمن الأسباب التي تدعو إلى فرض عقوبات على دولة ما"[99].

ومن اللافت للنظر التفاعل الماليزي الرسمي مع أحداث غزة، وهو ما لم نشهده في العديد من الدول العربية القريبة أو البعيدة عن قطاع غزة، فقد عقد البرلمان الماليزي في 2009/1/12 جلسة خاصة للتباحث في أوضاع غزة، وطالب النواب خلالها مجلس الأمن الدولي بتشكيل محكمة لجرائم الحرب لمحاكمة قادة الحكومة الإسرائيلية. وقد قال رئيس الوزراء خلال هذه الجلسة إن "مثل هذه الأعمال تعتبر جرائم حرب وفقاً لما يقضي به الفصل الرابع من معاهدة جنيف الخاصة بحماية المدنيين في زمن الحرب". كما تقرر تعليق الحملات الانتخابية الجزئية في إحدى الدوائر الماليزية معللة ذلك بـ"توحيد الجهود لمساندة الشعب الفلسطيني، وإيقاف العدوان الإسرائيلي على غزة"[100].

وعلى الصعيد الشعبي نظمت الجمعيات والأحزاب الماليزية العديد من الفعاليات التضامنية مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، فقد نظمت جمعية "أمان فلسطين" بالتعاون مع الاتحاد الإسلامي في 2009/1/10 مهرجاناً حاشداً في مدينة شاه أعلم عاصمة ولاية سيلانجور Selangor، طالب المتحدثون فيه بضرورة "وقف العدوان الإسرائيلي الهمجي" على غزة وفتح المعابر ورفع الحصار. ودعوا مصر إلى فتح حدودها مع غزة وتسهيل وصول المعونات والأطباء وإعادة الحياة إلى طبيعتها في القطاع، وطالبوا الدول العربية والإسلامية بقطع علاقاتها مع "إسرائيل"، والعمل على تقديم المسؤولين الإسرائيليين لمحاكمات دولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب. وعبر الأمين العام

للجمعية عبد الله زيد في حديث للجزيرة نت عن تعاطف الماليزيين الكبير مع الشعب الفلسطيني، وقال "نحن نسعى عبر الجمعية وفعالياتها إلى توعية الشعب الماليزي للقيام بواجبه تجاه إخواننا في فلسطين". كما دعا الشعب الماليزي إلى "الاستمرار في إقامة الفعاليات المناصرة للشعب الفلسطيني وتقديم التبرعات".

وفي السياق ذاته نظمت الفعاليات الشعبية والأحزاب والمنظمات الإسلامية وائتلاف الجمعيات غير الحكومية والأطباء مسيرتين منفصلتين، تلاهما اعتصام أمام سفارتي الولايات المتحدة ومصر. وقالت النائب لؤلؤة غزالي إنه "من المفارقات الغريبة أن يكون هناك اعتصامان في نفس الوقت ولنفس الغاية، واحد أمام السفارة الأميركية والآخر أمام السفارة المصرية"[101].

وقام ائتلاف المنظمات والجمعيات غير الحكومية بتنظيم مهرجان تضامني مع قطاع غزة في 2009/1/18، تحدث فيه رئيس الوزراء السابق مهاتير بن محمد Mahathir bin Mohamad، أشاد خلال كلمته بالدور الذي لعبته الحكومة الماليزية لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ودفع المجتمع الدولي لتقديم قادة الحكومة الإسرائيلية للمحاكمة بتهمة ارتكاب جرائم حرب. كما نوه مهاتير إلى ضرورة التفريق بين موقف الحكومة الذي يتبنى الموقف الدولي في العلاقة مع السلطة في رام الله، وبين المحاولات الرامية إلى تحقيق الوحدة بين الفلسطينيين، "بالتالي إعادة الأمور إلى نصابها، والتعامل مع من يمثل الشعب بشكل حقيقي". وأشاد مهاتير "بالصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني في غزة" قائلاً "إن هذا الشعب الذي يقدم هذه التضحيات حتى لو استسلم قادته وخذلوه فلن يهزم". وأشار رئيس الوزراء السابق في كلمته إلى ضرورة تفعيل سلاح المقاطعة لكل من يقدم الدعم لـ"إسرائيل"، وأكد على دور الحكومات والشعوب في تطوير آليات لتفعيل المقاطعة بهذه الحرب التي وصفها بـ"الصراع الطويل". ووصف قادة "إسرائيل" بأنهم "مجموعة من الأشرار القتلة المتعطشين للدماء"[102].

وقد شهدت ماليزيا تصاعد العمل الشعبي المؤيد للقضية الفلسطينية على مدار سنة 2009، وتزايد حملات جمع التبرعات للمحتاجين الفلسطينيين، وأصبحت الحكومة الماليزية أكثر انفتاحاً على حماس.

خامساً: إندونيسيا

أثبتت التفاعلات الشعبية والرسمية الإندونيسية طوال سنة 2009 مدى ارتباط أكبر بلد إسلامي بالقضية الفلسطينية، ولعل ذلك يعطي مؤشراً قوياً على إمكانية إعادة القضية الفلسطينية إلى محيطها الإسلامي الداعم للحقوق التاريخية في فلسطين، والرافض إلى نوع من أنواع التطبيع مع الكيان الإسرائيلي. فقد عبرت الحكومة الإندونيسية في أثناء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في

نهاية 2008 وبداية 2009 عن إدانتها لهذا العدوان. كما توجه الرئيس الإندونيسي سوسيلو بامبانغ يودويونو Susilo Bamang Yudhoyono إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بكتاب للمطالبة بوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، مؤكداً فيه بأن إندونيسيا "تدعم الشعب الفلسطيني حسب قراري الأمم المتحدة 242 و338". مؤكداً بأن "الموقف الإندونيسي ثابت لم يتغير بشأن رفض إقامة علاقات مع الاحتلال الإسرائيلي، إلاّ بعد تحقيق الاستقلال الفلسطيني"[103]. وقد ذهبت الخارجية الإندونيسية في دعمها الشعب الفلسطيني إلى أبعد من ذلك، فقد شارك وفد من السفارة الإندونيسية في لبنان، ضم نائب السفير أنبنديتا مورتي أكسيوما، في مهرجان تضامني مع قطاع غزة نظمته حركة حماس في مخيم عين الحلوة جنوب لبنان، وقد عبر أكسيوما بوضوح عن دعم بلاده للشعب الفلسطيني ومقاومته حيث قال "إن إندونيسيا دعمت ولا تزال تدعم المقاومة في فلسطين ولا سيّما في المحافل الدولية من أجل تحرير فلسطين"[104].

وقد أظهرت الحكومة الإندونيسية تناغماً حقيقياً مع الشعب الإندونيسي الذي لم يؤل جهداً في سبيل إظهار دعمه وتعاطفه مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، فقد جاب عشرات الآلاف من المتظاهرين شوارع جاكرتا منددين بالعدوان الإسرائيلي على القطاع، ومستنكرين الدعم الأمريكي للكيان الإسرائيلي. كما نظمت الجمعيات والأحزاب الإسلامية مظاهرات يومية في مختلف الأقاليم الإندونيسية، رافعين الأعلام واللافتات الداعية لرفع الظلم عن فلسطين، والمطالبة بفتح الحدود المصرية للسماح بدخول المتطوعين للدفاع عن قطاع غزة[105].

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2009 أطلقت اللجنة الخاصة بفلسطين في البرلمان الإندونيسي حملة تضامن مع الشعب الفلسطيني ونصرة المسجد الأقصى المبارك. فقد نظمت مؤتمراً تحت عنوان "الأقصى في منظور القانون الدولي لحقوق الإنسان"، وقد تأسست هذه اللجنة سنة 2004 بهدف إبراز معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال. كما سعت اللجنة إلى تشكيل تحالف برلماني إندونيسي فلسطيني لتنسيق الجهود المشتركة لكسر الحصار عن قطاع غزة، بالتعاون مع نواب دوليين لتنظيم رحلات بحرية للقطاع. وقد لعبت هذه اللجنة دوراً بارزاً في التضامن مع النواب المعتقلين في السجون الإسرائيلية، كما حالت اللجنة دون مشاركة وفد البرلمان الإسرائيلي في مؤتمر دوري لاتحاد البرلمانيين الدولي في بالي[106].

كما أن حملات التأييد للحقوق الفلسطينية على مستوى الأحزاب والقوى الشعبية، ورفضها للتعاون والتطبيع الاقتصادي والعسكري، والمطالبة بدور أكبر للبرلمان الإندونيسي لطرد "إسرائيل" من عضوية اتحاد البرلمانيين الدوليين؛ أظهرت مدى ترابط الشعب الإندونيسي بالقضية الفلسطينية، وأسهمت ولو جزئياً في إعادة القضية الفلسطينية إلى محيطها الإسلامي الطبيعي.

سادساً: باكستان

أسهم اضطراب الأوضاع الداخلية في باكستان في إضعاف قدرتها على التفاعل بشكل كبير رسمياً وشعبياً مع القضية الفلسطينية. فاقتصرت ردود الفعل الباكستانية الرسمية على إدانة الهجمات الإسرائيلية على القطاع، حيث وجهت وزارة الخارجية الباكستانية رسالة إلى الأمم المتحدة عبر مندوبها الدائم عبد الله حسين هارون، تضمنت إدانة القيادة الباكستانية للهجمات الإسرائيلية المتكررة على قطاع غزة، وإلى وضع حدّ لأعمال "العنف" وتجنب وقوع مزيد من الخسائر البشرية والمادية، وتضمنت الرسالة أيضاً حثّ المجتمع الدولي على تسريع عملية التسوية السلمية والعادلة للقضية الفلسطينية[107].

أما على المستوى الشعبي والأحزاب والحركات السياسية والدينية في باكستان فقد تحركت، وعلى الرغم من أن تحركها جاء متأخراً، إلا أنه تحرك بقوة وفعالية موجهاً انتقادات قوية للحكومة التي اكتفت باستنكار وشجب الاعتداءات الإسرائيلية، كما انتقد أمير الجماعة الإسلامية في باكستان، التي نظمت المظاهرات الداعمة لفلسطين، قيام الرئيس الباكستاني آصف علي زرداري Asif Ali Zardari بتكريم نائب الرئيس الأمريكي، جو بايدن Joe Biden، فقال "إن إسرائيل تقتل الفلسطينيين بأسلحة أمريكية، وحكام باكستان يكرمون مسؤولين أميركيين دون أدنى مراعاة لمشاعر الفلسطينيين وآلامهم". ودعا أحمد إلى مقاطعة البضائع الأمريكية، وحثّ شعبه على التبرع لنصرة أهل غزة منتقداً في المقابل موقف الرئيس المصري حسني مبارك من إغلاق معبر رفح أمام وضع إنساني لم يعد يحتمل. كما أن المسؤول الإعلامي في الرابطة الإسلامية الباكستانية أحسن إقبال انتقد في مظاهرة نظمها حزبه لنصرة غزة، انتقد تقاعس الحكومة عن الشعب الفلسطيني، وأشار إقبال إلى أن باكستان دولة نووية، بإمكانها أن تفعل شيئاً عملياً على الأرض لو أرادت، وأضاف "من العار أن يتخلى الرئيس زرداري عن مسؤولياته الآن، وهو أمام اختبار حقيقي"[108].

سابعاً: التبادل التجاري

شهدت سنة 2009 تراجعاً ملحوظاً في حجم التبادل التجاري بين الدول الإسلامية غير العربية و"إسرائيل"؛ فمن خلال مراجعة أرقام الصادرات والواردات الإسرائيلية لسنة 2009، تبين أن قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى تركيا قد بلغت نحو 1,073 مليون دولار مسجلة تراجعاً بنسبة بلغت حوالي 33% عن سنة 2008. ومن الملاحظ أن نسبة التراجع في الصادرات الإسرائيلية إلى تركيا أعلى من نسبة التراجع العام في الصادرات الإسرائيلية لسنة 2009، والذي سجل تراجعاً بنسبة 22% عن سنة 2008. وكذلك تراجعت قيمة الواردات الإسرائيلية من

تركيا من نحو 1,825 مليون دولار في سنة 2008 إلى 1,388 مليون دولار في سنة 2009، مسجلاً تراجعاً مقداره 24%. وتلي تركيا في العلاقات تجارية مع "إسرائيل"، دول إسلامية أخرى مثل أذربيجان ونيجيريا وماليزيا وإندونيسيا، وإن بدرجة أقل من تركيا (انظر الجدول 4/1).

جدول 4/1: حجم التجارة الإسرائيلية مع عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2006-2009 (بالمليون دولار)[109]

البلدان	الصادرات الإسرائيلية إلى:				الواردات الإسرائيلية من:			
	2009	2008	2007	2006	2009	2008	2007	2006
تركيا	1,072.7	1,609.9	1,195.8	821.2	1,387.7	1,825.3	1,606.9	1,272.7
نيجيريا	209.5	304.3	205.1	78	2.4	1.4	0.2	0.2
كازاخستان	56.9	158.6	99.6	64.3	0.9	3.4	3.3	2.2
أذربيجان	264	129.4	82.6	28	0.3	0.3	0.2	0.6
ماليزيا	116.7	30.2	70.4	68.1	68.5	100.6	63.6	53.7
أوزبكستان	19.5	23.3	25.6	12.2	0.4	2.7	2	1.2
الكاميرون	24.3	18.2	8.9	13.6	0.1	0.5	0.2	0
إندونيسيا	12.5	15.8	17.6	12.9	90.7	293.4	89.3	87
ساحل العاج	8.4	9.3	7.9	8.8	8.1	8.9	5	2.2
السنغال	3.7	8.8	7.1	5.8	1.1	0.7	0.6	0
الغابون	1.9	2.9	1.1	1.4	0	0	0.2	1.5
تركمانستان	3.9	1.7	2.2	0.1	0.6	0.2	0.8	1

الصادرات الإسرائيلية إلى عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2008-2009 (بالمليون دولار)

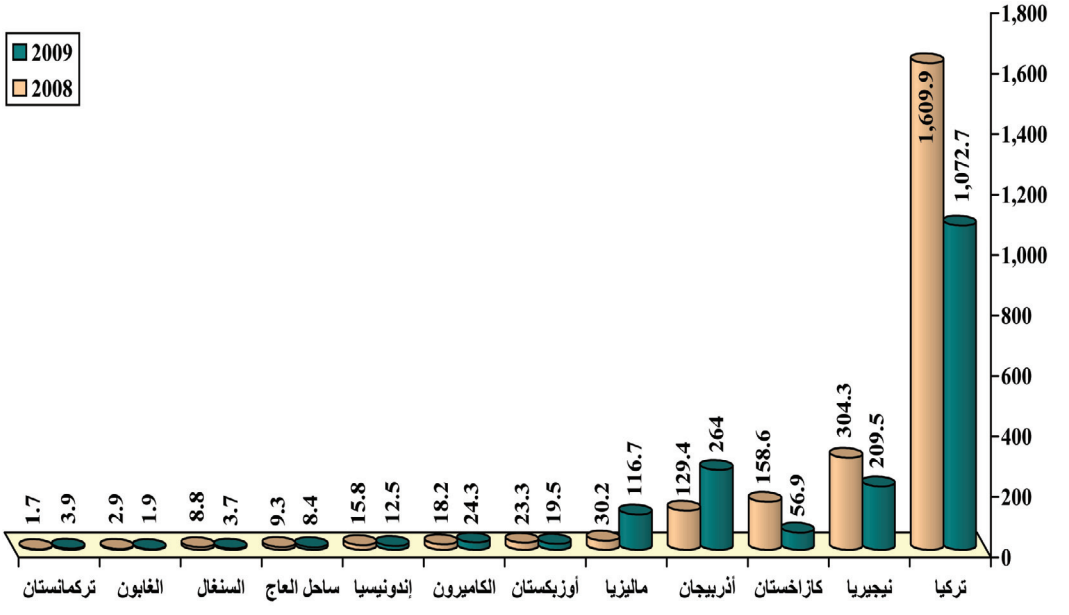

الواردات الإسرائيلية من عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2008-2009 (بالمليون دولار)

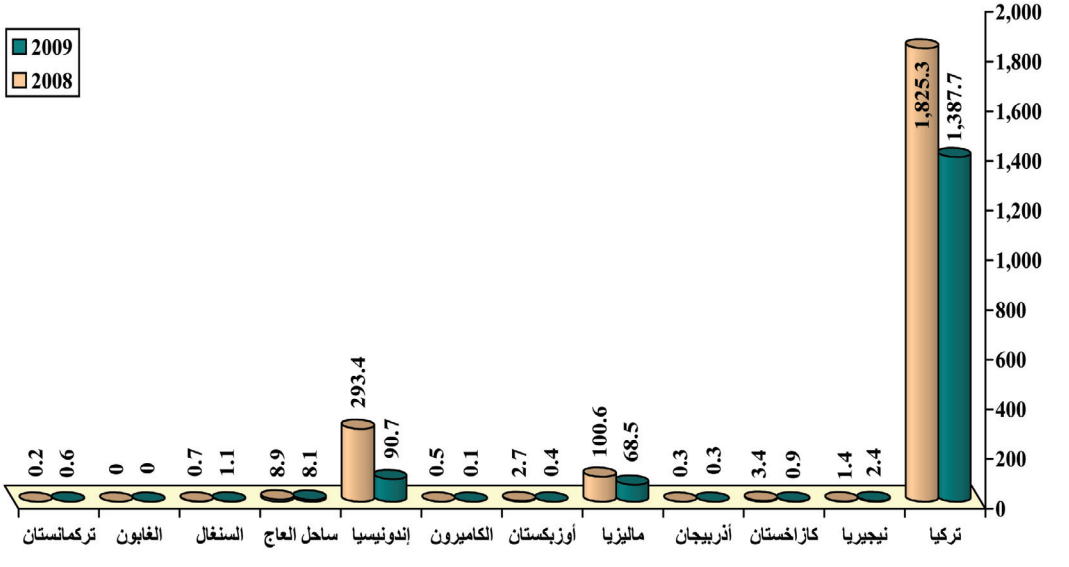

خاتمة

شهدت سنة 2009 مزيداً من التعاطف والتفاعل الإسلامي مع القضية الفلسطينية، خصوصاً في أثناء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. وبدا النشاط الشعبي غير الحكومي أكثر وضوحاً وتنظيماً في التعبئة الإعلامية والسياسية وجمع التبرعات خصوصاً في: تركيا، وإيران، وإندونيسيا، والباكستان، وماليزيا... وغيرها. وقد كان ذلك مؤشراً على مركزية قضية فلسطين في وجدان شعوب العالم الإسلامي. غير أن حالة الانقسام الفلسطيني ظلت تلقي بظلالها السلبية على مجمل التفاعلات الإسلامية مع القضية.

واستمرت منظمة المؤتمر الإسلامي، التي لم تحقق إنجازاً يذكر خلال سنة 2009 على صعيد القضية الفلسطينية، في إصدار البيانات المنددة بالاعتداءات الإسرائيلية على الأرض والمقدسات، وفي المطالبة برفع الحصار. ويظهر أنه من الصعوبة بمكان إيجاد قواسم مشتركة لعمل فاعل من أجل فلسطين لنحو 56 نظاماً سياسياً، بينها الكثير من التناقضات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، واختلاف في الاهتمامات والأولويات، مما يجعل احتمالات تحركها كجسد واحد ضئيلة جداً.

أما تركيا فمن الواضح أنها بقيادة حزب العدالة والتنمية ذي الخلفية الإسلامية، أخذت تمارس سياسة أكثر استقلالاً، عن أمريكا والغرب، وتتجه شرقاً نحو دور أكبر في المنطقة العربية والإسلامية؛ ولم تعد القيادة التركية تشعر بحاجتها إلى "إسرائيل" بعد أن رتبت علاقاتها الإقليمية، خصوصاً مع سورية وإيران. غير أن هذا الانفكاك سوف يكون تدريجياً بسبب الجذور العميقة للعلاقة العسكرية والتجارية بين الطرفين التركي والإسرائيلي.

أما إيران فقد كان لارتباك وضعها الداخلي الناتج عن أزمة الانتخابات الإيرانية، أثره في تسليط الضوء على رغبة بعض الاتجاهات الإصلاحية في الاهتمام بالشأن الداخلي، والتخفيف من دعم الملفات الساخنة في فلسطين وغيرها. غير أنه في المدى القريب، من المرجح أن يستمر الدعم الإيراني لحماس وفصائل المقاومة، وإن كان قد يتأثر بظروف طهران الاقتصادية، أو بمدى انشغالها بملفاتها الداخلية، فضلاً عن مدى سخونة الأوضاع في فلسطين نفسها.

هوامش الفصل الرابع

[1] انظر البيان الختامي الصادر عن الاجتماع الوزاري الاستثنائي الموسع حول العدوان الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة، موقع منظمة المؤتمر الإسلامي، 2009/1/3، في:
http://www.oic-oci.org/arabic/conf/exec/FC-exec-fc-Gaza-Ar.pdf

[2] منظمة المؤتمر الإسلامي، 2009/1/4، انظر:
http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=1762&x_key=

[3] منظمة المؤتمر الإسلامي، 2009/3/18، انظر: http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=2001&x_key

[4] منظمة المؤتمر الإسلامي، 2009/6/20، انظر:
http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=2505&x_key=

[5] **القدس العربي**، 2009/3/16.

[6] يشار إلى أن أمين عام المنظمة قد أكد في تصريح له في 2009/10/3 على دور السلطة الفلسطينية في تأجيل عرض تقرير جولدستون على مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وذلك ضمن اتفاق أمريكي فلسطيني.

[7] جريدة **الراية**، الدوحة، 2009/10/31.

[8] منظمة المؤتمر الإسلامي، 2009/11/1، انظر:
http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=2938&x_key=

[9] جريدة **ميلّيت**، تركيا، 2009/1/23.

[10] **ميلّيت**، 2009/1/19.

[11] جريدة **زمان**، تركيا، 2009/1/19.

[12] **زمان**، 2009/1/30.

[13] جريدة **يني شفق**، تركيا، 2009/1/31.

[14] **المصدر نفسه**.

[15] **زمان**، 2009/1/31.

[16] **يني شفق**، 2009/1/31.

[17] **المصدر نفسه**.

[18] **زمان**، 2009/1/31.

[19] **المصدر نفسه**.

[20] **المصدر نفسه**.

[21] **ميلّيت**، 2009/1/31.

[22] **ميلّيت**، 2009/2/2.

[23] **السفير**، 2009/2/16.

[24] **المصدر نفسه**.

[25] **زمان**، 2009/2/24.

[26] جريدة **أقشام**، 2009/2/25.

[27] **المصدر نفسه**.

[28] **يني شفق**، 2009/4/29.

[29] جريدة **راديكال**، تركيا، 2009/9/28.

[30] جريدة **حرييت**، تركيا، 2009/10/11.

[31] **حرييت**، 2009/10/12.

[32] **حرييت**، 2009/10/12.

[33] **راديكال**، 2009/10/17.

[34] **ميلّيت**، 2009/11/24.

[35] **المصدر نفسه**.

[36] **المصدر نفسه**.

[37] **السفير**، 2009/1/9.

[38] **يني شفق**، 2009/1/4.

[39] **يني شفق**، 2009/1/4.

[40] **زمان**، 2009/1/4.

[41] **ميلّيت**، 2009/1/10.

[42] **المصدر نفسه**.

[43] **يني شفق**، 2009/1/18.

[44] **زمان**، 2009/1/26.

[45] **المصدر نفسه**.

[46] **يني شفق**، 2009/3/19.

[47] الجزيرة.نت، 2009/5/24، انظر:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2C75ECF6-9DE9-455C-A608-8FB114B4A636.htm

[48] انظر: **الغد**، 2009/6/18.

[49] **يني شفق**، 2009/2/8.

[50] **زمان**، 2009/2/9.

[51] **زمان**، 2009/2/9.

[52] **زمان**، 2009/2/8.

[53] **المصدر نفسه**.

[54] **السفير**، 2009/2/9.

[55] **يني شفق**، 2009/1/11.

[56] **ميلّيت**، 2009/1/21.

[57] **ميلّيت**، 2009/1/22.

[58] **السفير**، 2009/7/24.

[59] **ميلّيت**، 2009/7/24.

[60] **ميلّيت**، 2009/10/12.

[61] **الأخبار**، 2008/12/29، انظر: http://www.al-akhbar.com/ar/node/110573

[62] **الخليج**، 2009/1/2.

[63] موقع وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية، 2009/1/12، انظر:
http://www.mfa.gov.ir/cms/cms/Tehran/ar/SPOKESMAN/1871023

[64] **الدستور**، 2009/1/3.

[65] **السفير**، 2009/1/5.

[66] **الخليج**، 2009/1/6.

[67] موقع وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية، 2009/1/5، انظر:
http://www.mfa.gov.ir/cms/cms/Tehran/ar/SPOKESMAN/1871016

[68] **الخليج**، 2009/1/5.

[69] **الخليج**، 2009/1/5.

[70] **الخليج**، 2009/1/6.

[71] الجزيرة.نت، 2009/1/2، انظر: http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=1165687

[72] **الخليج**، 2009/1/8.

[73] قناة الجزيرة الفضائية، قطر، "لقاء خاص،" حوار مع أحمدي نجاد، طهران، 2009/1/15. انظر نص الحوار في: الجزيرة.نت، 2009/1/18، في: http://aljazeera.net/NR/exeres/700E03A2-9310-477C-8F3F-79B66C398C85.htm

[74] **السفير**، 2009/2/4.

[75] وكالة رويترز، و**السفير**، 2009/1/22؛ و**الخليج**، 2009/1/25.

[76] **فلسطين**، 2009/1/26.

[77] **الرأي**، عمّان، 2009/1/5.

[78] موقع ليبانون فايلز، 2009/3/3، انظر: http://www.lebanonfiles.com/

[79] **الحياة**، 2009/3/5.

[80] *Arab News* newspaper, Saudi Arabia, 5/3/2009.

[81] **الحياة**، 2009/3/5.

[82] قناة العربية الفضائية، "بالعربي،" مع جيزال خوري، حوار مع زهرة راهنافارد (زوجة المرشح للرئاسة الإيرانية مير حسين موسوي)، 2009/6/11. انظر نص الحوار في موقع العربية.نت، 2009/6/14، في:
http://www.alarabiya.net/programs/2009/06/14/75880.html

[83] موقع الرأي، 2009/9/19، انظر: http://www.arraee.net/

[84] **الحياة**، 2009/9/10.

[85] المركز الوطني الفلسطيني للإعلام والمعلومات (صوت فلسطين – حركة فتح)، 2009/6/10، انظر: http://www.fateh.org/

[86] **الشرق الأوسط**، 2009/11/21.

[87] *The Jerusalem Post* newspaper, 1/12/2009.

[88] موقع النشرة الإلكترونية اللبنانية، 2009/11/16، انظر: http://www.elnashra.com/index.html

[89] النشرة الإلكترونية اللبنانية، 2009/11/6.

[90] **السفير**، 2009/12/17.

[91] *The New York Times*, 11/10/2009, http://www.nytimes.com/2009/11/11/world/middleeast/11saudi.html

[92] إعادة تقييم العملية السياسية الصهيونية الفلسطينية: تفاصيل الاستراتيجية الجديدة للتعاطي مع حماس وسلطة رام الله توصيات معهد ريؤت لحكومة نتنياهو، سلسلة ترجمات (117)، مركز دراسات وتحليل المعلومات الصحفية، 2009/6/3.

[93] وكالة مهر للأنباء، 2009/7/12، انظر: http://www.mehrnews.com/ar/

[94] موقع إسلام أون لاين.نت، 2009/12/25، انظر: http://www.islamonline.net/Arabic/index.shtml

[95] موقع القرية نت، 2009/10/5، انظر: http://www.kufur-kassem.com/cms/

[96] **هآرتس**، 2009/11/13.

[97] **المصدر نفسه**.

[98] **الشرق الأوسط**، و**السفير**، 2009/12/14.

[99] **الخليج**، 8-2009/1/9.

[100] الجزيرة.نت، 2009/1/14.

[101] الجزيرة.نت، 2009/1/14.

[102] الجزيرة.نت، 2009/1/19، انظر:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F0B671EB-55D0-4633-B0E4-A9AE4CB1EC23.htm

[103] **الغد**، 2009/1/4.

[104] **المستقبل**، 2009/1/20.

[105] **العرب**، 2009/1/12.

[106] الجزيرة.نت، 2009/11/5، انظر:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0BD11510-6A5E-4D28-8018-F03F604FAE3A.htm

[107] **الخليج**، 2009/1/1.

[108] الجزيرة.نت، 2009/1/12، انظر:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A4846AB5-BD17-43F8-86BD-1B2A2969F4E2.htm

[109] Helen Brusilovsky, Summary of Israel's Foreign Trade by Country-2009.

The Palestinian Strategic Report 2009

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009

هذا التقرير

يسر مركز الزيتونة أن يقدم للقارئ الكريم التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009 الذي يصدر للعام الخامس على التوالي. وهو تقرير يستعرض بشكل علمي وموضوعي وشامل تطورات القضية الفلسطينية، في مختلف جوانبها، طوال سنة كاملة، ويحاول تقديم آخر المعلومات والإحصاءات المحدّثة الدقيقة، ضمن قراءة تحليلية واستشراف مستقبلي. وقد أخذ هذا التقرير موقعه المتميز كمرجع أساسي من مراجع الدراسات الفلسطينية، لا غنى عنه لكل المهتمين بالشأن الفلسطيني.

شارك في إعداد هذا التقرير 14 من الأساتذة والباحثين المتخصصين، وهو يعالج في ثمانية فصول الوضع الفلسطيني الداخلي، والمشهد الإسرائيلي الفلسطيني وتشابكاته، والمواقف العربية والإسلامية والدولية من القضية الفلسطينية، والوضع السكاني والاقتصادي الفلسطيني؛ كما يسلط الضوء على أوضاع القدس والمقدسات، ومعاناة الأرض والإنسان تحت الاحتلال الإسرائيلي.

ويأمل مركز الزيتونة أن يكون هذا التقرير إضافة نوعية جادة في ميدان الدراسات الفلسطينية.

د. محسن صالح

ISBN 978-9953-500-81-2
9 789953 500812

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت